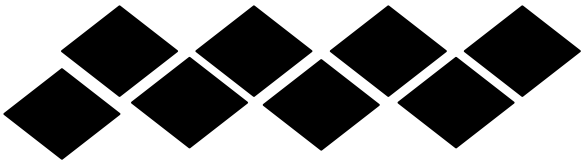

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الإحياء و الإماتة بين الحقيقة و المجاز
:دراسة قرآنية بلاغية"

د. رباب صالح محمد جمال

جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية

التمهيد:

اعترف العلماء والمفسرون بعجزهم عن إيجاد تعريف الموت والحياة، وكذا الإماتة والإحياء، وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور: " وتعسر تعريف الحياة أوتعريف دوامها على الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين تعريفًا حقيقيًّا بالحد " [1] ، ومع ذلك حاول المفسرون الوصول لفهم الموت والحياة بمظاهرهما ، فذهب أغلبهم في معنى الموت إلى العدم والجمود في التراب وهوأصل نشأة أبينا آدم – عليه السلام – وفي النطف التي لم تتخلق بعد. فمعنى قوله تعالى: ﴿ سخ سح سخ ﴾ ، أي: أموات الذكر خمولًا في أصلاب آبائكم نُطفًا لا تُعرفون ولا تُذكرون" [2]

ويقول الزمخشري في الآية نفسها:" فإن قلت: كيف قيل لهم أمواتًا في حال كونهم جمادًا، وإنما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى [3]؟ قلت: بل يقال ذلك لعادم الحياة ، كقوله: ﴿ لى لي ﴾ [الفرقان: ٤٩] ... ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما في أن لا روح ولا إحساس "[4] .

١- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، ١٩٨٤ م ، دار سحنون للنشر والتوزيع / تونس ج١ ص ٣٧٦ آية البقرة ٢٨ ، وانظر سيد قطب : ظلال القرآن ، طبعة ١٢ ، ١٤٠٦ هـ ، دار العلم للطباعة والنشر / جدة ، دار الشروق للطباعة والنشر / القاهرة مج ١ ج ٣ ص ٢٩١-٢٩٢ البقرة ٢٥٨.

٢- أبوجعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٤٣١ هـ ، دار الحديث / القاهرة ج١ ص ١٤٨ ،آية البقرة ٢ ،وانظر محمد بن محمد أبوالسعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن(القرآن) الكريم ، الطبعة الثانية ، ١٤١١ هـ ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ج١ ص٧٧، شهاب الدين محمد الألوسي : روح المعاني في تفسير القرن(القرآن) العظيم والسبع المثاني ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ج١ ص ٣٠٦ البقرة ٢٨ ، الطاهر ج٢٤ ص ٩٧ غافر ١١ ، أبوعبد الله محمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، صححه أحمد عبد العليم البردوني ، الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ ، دار الكتاب العربي ج١٦ ص ١٧٣ الجاثية ٢٦ ، الطاهر ج٢٧ ص ١٤٤ النجم ٤٤ ابن جرير ج ٢٧ ص ٦٦١ الحديد ٢ ، القرطبي ج ١٥ ص ٥٨ يس ٧٨.

٣- هي في الكتاب البتى ولعل البنى أقرب للصواب.

٤- أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج ١ ص ٢٦٩ البقرة ٢٨ ، وانظر أبوحيان ج٦ ص ٣٥٧ الحج ٦٦ ابن جرير ج ١٨ ص ٣١٣ المؤمنون ٨٠، وانظر القاضي أبومحمد عبد الحق بن غالب بن عطية : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، ١٣٩٥ هـ =ج١ ص ١٥٨، وانظر محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، –

ويقول الرازي:" اختلفوا في أن إطلاق اسم الميت على الجماد حقيقة أومجازًا والأكثرون على أنه مجاز؛ لأنه شبه الموات بالميت وليس أحدهما من الآخر بسبيل؛ لأن الميت ما يحل به الموت ولا بدّ وأن يكون بصفة من يجوز أن يكون حيًا في العادة فيكون اللحمية والرطوبة وقال الأولون هوحقيقة فيه ... والأول هوالأقرب ، ؛لأنه يقال في الجماد إنه موات وليس بميت فيشبه أن يكون استعمال أحدهما في الآخر على سبيل التشبيه "[1] .

ويقول الطاهر: " الإنسان كان مركب أشياء موصوفًا بالموت أي لا حياة فيه .... وإطلاق الأموات هنا مجاز شائع بناء على أن الموت هوعدم اتصاف الجسم بالحياة سواء أكان متصفًا بها من قبل كما هوالإطلاق المشهور في العرف أم لم يكن متصفًا بها إذا كان من شأنه أن يتصف بها"[2] ، ويرى البقاعي أن " إطلاق الموت على ما لم تحله حياة مجاز " [3]

وذهب بعض المفسرين في تفسير الإماتة الأولى في آية غافر: ﴿ثم ثم ثز ثم إلى معنى خلقهم أمواتًا ، يقول الزمخشري فيه " فإن قلت: كيف صحّ أن يسمى خلقهم أمواتًا: إماتة؟ قلت: كما صحّ أن تقول: سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل ! وقولك للحفار: ضيق فم الركية ووسع أسفلها، وليس ثم نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر، ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق، وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات " [4]

=راجع أصوله يوسف الغوش ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٩ هـ دار المعرفة / بيروت – لبنان ج١ ص ٤٣ آية البقرة ٢٨ ، وانظر محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي : االبحر المحيط ، دراسة وتحقيق عادل عبد الموجود ، الشيخ علي معوض ، شارك في تحقيقه دكتور زكريا النوتي ، دكتور أحمد الجمل ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ،دار الكتب العلمية / لبنان ج٥ ص ٤٣٨ ، أبوالفداء إسماعيل بن كثير ، راجعه نقحه الشيخ خالد محمد محرم ، ١٤١٩ هـ ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر / صيدا – بيروت ج٢ ص ٥٠٣، محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي ، ١٩٩١ م ، أخبار اليوم قطاع الثقافة ج١٢ ص ٧٦٧٩ الحجر ٢٣ ، برهان الدين أبوالحسن البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ، دار الكتاب الإسلامي / القاهرة ج ١٣ ص ٨٦ الحج ٦٦.

١- تفسير الرازي، ٣٧٧/٢.

٢- الطاهر ج ١ ص ٣٧٥ .

٣- البقاعي ج ١ ص ٢١٤.

٤- الزمخشري ج٣ ص ٤١٨ ، وانظر الرازي ج٢٧ ص ٣٩ آية غافر ١١ وانظر أبوسعيد ناصر الدين عبد الله البيضاوي : تفسير البيضاوي العظيم ، ضمن حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي

ويذهب جمهور المفسرين في معنى الحياة إلى الروح والإحياء نفخها[1] ، ويعرف البيضاوي الحياة بقوله: والحياة حقيقة في القوة الحساسة، أوما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانًا مجازًا في القوة النامية ، لأنها من طلائعها ومقدماتها، وفيما يخص الإنسان من الفضائل ، كالعقل والعلم والإيمان من حيث إنها كمالها وغايتها، والموت بإزائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى: ﴿كيف﴾ ، وقال: ﴿فخ فم قح قم كج كحكم﴾ ، وقال: ﴿لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير ئم﴾ ، وإذا وصف بها الباري تعالى؛ أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا ، أومعنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة " [2]، ونقل البقاعي عن الحرالي معناها في "النبات بالنمووالاهتزاز مع انغراسه إلى حياة ما يدب بحركته وحسه إلى غاية حياة الإنسان في تصرفه وتصريفه إلى ما وراء ذلك من التكامل " [3] ، ويقول الطاهر:" وأوضح تعاريفها بالرسم أنها قوة ينشأ عنها الحس والحركة وأنها مشروطة باعتدال المزاج والأعضاء الرئيسية التي بها تدوم الدورة الدموية، والمراد بالمزاج التركيب الخاص المناسب مناسبة تليق بنوع ما من المركبات العنصرية .... فإذا انقطع عمل المزاج فذلك الموت. فالموت عدم والحياة ملكة " [4]، ويقول الشعراوي: والإحياء: أن يعطي المحيي ما يُحييه قوة يؤدي بها المهمة المخلوق لها... والإحياء يُطلَق في القرآن على معانٍ متعددة ، منها الحياة المادية التي تتمثل في الحركة والأكل والشرب، ومنها الحياة في الآخرة التي قال الله عنها:

للقاضي شهاب الدين الخفاجي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ، دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان ج٨ ص ٢٤٤ ، وانظر البيضاوي ج ٨ ص ٢٤٤ غافر ١١ ، أبوالسعود ج٧ ص ٢٦٩ ، الألوسي ج ٢٤ ص ٤٠٩غافر ١١.

١- انظر ابن جرير ج١ ص٣٠٧ ، البيضاوي ج٢ ص١٦٦، أبوحيان ج١ ص ٢٧٧ ، أبوالسعود ج١ ص ٧٧ ، الألوسي ج١ ص٣٠٦، الطاهر ج١ ص ٣٧٦ البقرة ٢٨، البقاعي ج ٤ ص ٥٠ البقرة ٢٥٨ .

٢- البيضاوي ج ٢ ص ١٧٠ البقرة ٢٨ وانظر أبوالسعود ج ١ ص ٧٧ ، الألوسي ج١ ص ٣٠٥-٣٠٦ ، البقاعي ج١ ص ٢١٤ البقرة ٢٨.

٣- البقاعي ج ١ ص ٢١٥ البقرة ٢٨ ، وانظر الرازي ج ٢٩ ص ١٩ النجم٤٤، الألوسي ج١٤ ص ٣٧٤ الحجر ٢٣ ، ج١ ص ٣٠٥ البقرة ٢٨.

٤- الطاهر ج١ ص ٣٧٦ البقرة ٢٨ .

ئناً مى مي نج نح نخنم ىن ني **هج** ئم[العنكبوت: ٦٤]. " [١] **ويرى بعض المفسرين أن معنى الإحياء والإماتة أي: الإيجاد والإعدام.** [٢]

وإذا كانت الحياة هي الروح والإحياء نفخها فإن الموت سلب أونزع هذه الروح ، كما سبق ذكره عند الشعراوي في النص السابق له ، و يقول ابن جرير: ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتًا " [٣] ، ويفسر الطاهر الموت بمظاهره فيقول:" حالة الموت، وهي وقوف القلب وذهاب الإدراك والإحساس"[٤] ، ويفسر الرازي الموت بمظاهره أيضًا فيقول: أمات أي خلق الموت والجمود في العناصر" [٥] .

١- الشعراوي ج ١٦ ص ٩٩١٦-٩٩١٧ الحج ٦٦.

٢- ابن كثير مج ٤ ج٢٥ ، البقاعي ج ١٨ ص ١٠١ الجاثية ٢٦ .

٣- ابن جرير ج ١ ص ٣٠٧ البقرة ٢٨ ، وانظر أبوحيان ج٢ ص ٢٦٠ البقرة ٢٥٩ ، البقاعي ج ١٨ ص ١٠١ الجاثية ٢٦ ، الشعراوي ج٢ ص ١١٢٧ البقرة ٢٥٨ .

٤- الطاهر ج٢ ص ٤٧٩ البقرة ٢٤٣ ، انظر الألوسي ج ١٤ ص ٣٧٤ الحجر ٢٣.

٥- الرازي ج ٢٩ ص ١٩ آية النجم ٤٤ .

الفصل الأول

القسم الأول

الإحياء والإماتة وعلاقتهما بانفراد الله تعالى بالألوهية

تأتي أفعال الإحياء والإماتة في هذا القسم إثباتًا لألوهية الله تعالى الحق وكمال قدرته التي يدخل فيها القدرة على البعث ، وهي مما لا يدعيها مؤمن ولا كافر ولا حتى ملحد.

والمتأمل في آيات هذا القسم يجدها تنقسم قسمين : قسم يرد فيه فعلا الإحياء والإماتة وهوالأغلب بحذف مفعولهما ، وقسم يذكر فيه المفعول ويكون ضميرًا للمخاطب أوللمتكلم أوللغائب ، فمما ورد فيه المفعول ضميرًا للمخاطب عدة مواضع [1].

ولمعرفة السياق نجد آية البقرة: ﭐﱡ خج خم سج سح سخ ﱠصح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ﭐﱠ قد سبقت بذكر كفر الكافرين ونقضهم ميثاق الله وإفسادهم في الأرض ، ثم وجهت الخطاب لهم منكرة عليهم كفرهم بلفظ الاستفهام (كيف) ، الذي يسأل به عن الحال ، وإنكار الحال إنكار لذات الكفر ، يقول الزمخشري:" حال الشيء تابعة لذاته ، فإذا امتنع ثبوت الذات؛ تبعه امتناع ثبوت الحال ؛ فكان إنكار حال الكفار؛ لأنها تبيع ذات الكفر ورديفها إنكارًا لذات الكفر، وثباتها على طريق الكناية، وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ "[2] ، فالآية تنكر عليهم وتتعجب من كفرهم مع ما رأوه من دلائل ألوهية الله تعالى، وهي الإحياء والإماتة حيث وهبهم سبحانه وتعالى الحياة بعد الموت سواء أريد به كونهم في أصلاب آبائهم [3] أوأريد به العدم [4] , أوكونهم نطفًا لا حياة فيها[5] , أوالتراب الذي خلقوا منه[6] ، ثم ثم يميتهم الإماتة التي يعلمون أنها مثل الإحياء الأول لا قدرة لهم في إيقاعها أوردها ، ثم

١- آية البقرة ٢٨ ، الحج ٦٦ ، الروم ٤٠ ، الجاثية ٢٦ .

٢- الزمخشري ج١ ص ٢٦٩.

٣- انظر ابن جرير ج١ ص ١٤٦ ، ابن عطية ج١ ص١٥٨ ، الرازي ج٢ص١٥١ ، القرطبي ج١ ص ٢٤٩، أبوحيان ج١ ص٢٧٦ ، ان كثير ج١ ص٥٨ ، أبوالسعود ج ١ ص ٧٧ ، الشوكاني ج١ ص٤٢ ، الطاهر ج ١ ص ٣٧٥.

٤- انظر ابن جرير الطبري ج١ ص١٤٥ ، ابن عطية ج١ ص١٥٨ ، الرازي ج٢ ص ١٥١، القرطبي ج٢ ص٢٤٩ ، أبوحيان ج١ ص٢٧٦ ، ابن كثير مج ١ ج١ ص ٥٨، الشوكاني ج ١ ص ٤٢، الشعراوي ج ١ ص٢٢٤ ، الطاهر عاشور ج ١ ص ٣٧٥.

٥- انظر ابن جرير ج١ ص ١٤٨, ابن عطية ج١ ص١٥٨, البيضاوي ج٢ ص١١١, أبوحيان ج١ ص٢٧٧, البقاعي ج١ ص٢١٥, أبوالسعود ج١ ص٧٧, الالولسي ج١ ص٣٠٦.

٦- انظر ابن عطية ج١ ص١٥٨, الرازي ج٢ ص١٥١ . البقاعي ج١ ص١١٥.

يحييهم الإحياء الذي يجادلون فيه، ولكن القرآن هنا عدّه أمرًا مسلّمًا لوجود دلائله في الكون [١] ؛ فجاء به دون توكيد (يحييكم) . ومع التعجب هوتوبيخ لهم كون هذا الكفر مما لا ينبغي. ومواجهتهم بالخطاب أكثر ردعًا في الإنكار من ضمير الغيبة ، يقول أبوحيان:" وفائدة هذا الالتفات أن الإنكار إذا توجه إلى المخاطب كان أبلغ من توجهه إلى الغائب ، لجواز أن لا يصله الإنكار ، بخلاف من كان مخاطبًا ؛ فإن الإنكار عليه أردع له عن أن يقع فيما أنكر عليه" [٢] ، وفي هذا الإنكار والتوبيخ زجر عن الكفر ودعوة إلى اكتساب الإيمان [٣] .

واختلفت أدوات العطف في الآية فجاءت الأولى بالفاء {فأحياكم } والبواقي بثم ، وذكر المفسرون في الحكمة من عطف الإحياء الأول بالفاء أن الإحياء الأول تعقب الموت بغير تراخ[٤] ، أولم يكن لهم معرفة بمدته ، فما شاهدوه وعرفوه هولحظة الانتقال من العدم إلى الوجود[٥] ، وجاء عطف الموت والإحياء الثاني بثم؛ لأن الموت " تراخى عن الإحياء ، والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت" [٦] .

وبعد سياق ذكر جزاء الكافرين في آية الحج [٧]، وذكر مجموعة من آيات ألوهيته سبحانه ونعمه وكمال قدرته ومنها القدرة على البعث[٨] يرد التقرير بالإحياء والإماتة في قوله تعالى: ﴿ ثن ﴾ ﴿ ثر ﴾ ثز ثم ثن ثى ثم ، " بمنزلة نتيجة القياس " [٩] أي ما دام سبحانه المتفرد بما ذكره من إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ، ومن إنزال المطر ، وغيره من أنواع النعم ودلائل القدرة فهوالإله القادر على إحيائكم وإماتتكم ثم إحيائكم مرة

١- انظر الزمخشري ج١ ص٢٦٩ ، ابن عطية ج١ ص١٥٩ ، الرازي ج٢ ص١٥٢ ، البيضاوي ج٢ ص١١١ ، أبوحيان ج١ ص٢٧٦. البقاعي ج١ ص٢١٧ ، أبوالسعود ج١ ص ٧٧، الألوسي ج١ ص ٣٠٦، الطاهر ج ١ ص ٣٧٧ .

٢- أبوحيان ج١ ص٥ ٢٧، وانظر الألوسي ج١ ص٣٠٤.

٣- انظر الرازي ج٢ ص١٤٩ ، البقاعي ج١ ص٢١٨ ، أبوالسعود ج١ ص٧٧ .

٤- انظر الزمخشريج١ص٢٧٠، والرازي ج٢ ص١٤٩، البيضاوي ج٢ ص١١١، أبوالسعود ج١ ص٧٧.

٥- انظر البقاعي ج١ ص٢١٥ .

٦- الزمخشري ج١ ص٢٧٠ وانظر البقاعي ج١ص٢١٥ ، أبوالسعود ج١ ص ٧٧.

٧- آية ٥٧.

٨- انظر البقاعي ج ١٣ ص ٧٧ وما بعدها .

٩- الطاهر ج ١٧ ص ٣٢٦.

أخرى ، ففي هذه النتيجة إثبات للألوهية والبعث .ويشير ختم الآية بقوله: ﵟ ﵞ ﵝ ﵜ ﵛ إلى شيء من التوبيخ لهذا الجحود لنعم الله تعالى المقابل لرأفة الله تعالى ﵟ ﵞ ﵝ ﵜ ﵛ ، وهي كسابقتها تفيد مع الزجر عن الكفران الحث على الشكر [1] ، لتضمنها نعمتي الإحياء والإماتة[2]

وآية الروم: ﵟ ﵞ ﵝ ﵜ ﵛ التي ذكر الإحياء الأول فيها بلفظ الخلق ، جاءت عقب سياق يذكر صورًا مختلفة لجحود الكفار لألوهية الله تعالى منها اتباع الأهواء بغير علم ، وتفريق الدين والإشراك بالله ، وفي ذلك يقول ابن عطية: " كرر مخاطبة الكفرة في أمر أوثانهم فذكر أفعال الله تعالى التي لا شريك له فيها وهي: الخلق والرزق والإماتة والإحياء، ولا يمكن أن ينكر ذلك عاقل ، ووقف الكفار على جهة التقرير والتوبيخ هل من شركائهم أي الذين جعلوهم شركاء من يفعل شيئًا من ذلك " [3] ، وليسوا شركاء حقيقيين . ولما تبين أن أيًّا من هذه الأمور العظام بما دل عليه الاسم الخاص بالبعيد { ﵛ } [4] لا يقدر عليها إلا الله تعالى مما أثبت الوحدانية له ، وهوالغرض المقصود في هذه الآية ، مع إثبات الحشر [5] ؛ جاء تنزيه الله تعالى لذاته معرضًا عنهم ﵟ ﵞ ﵝ ﵜ ﵛ زيادة في التعظيم والعظمة [6].

وتكرر استعمال لفظ الخلق هنا ، وفي آيات عديدة سابقة في هذه السورة [7]، والخلق يعنى الإيجاد على تقدير واستواء[8] ، ولعل وروده هنا في هذا السياق ليهيء

١- انظر الرازي ج٢٣ ص ٦٣.
٢- انظر البقاعي ج ١٣ ص ٨٦ .
٣-ابن عطية ج ج١٢ ص ٢٦٤ .
٤- انظر البقاعي ج ١٥ ص ١٠٣ .
٥- الرازي ج ٢٥ ص ١٢٧
٦- انظر البقاعي ج ١٥ ص ١٠٣
٧- آية ٨،١١ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧.
٨- انظر الزمخشري ج ١ ص ٢٢٨ تفسير آية البقرة ٢١.

استقلال الامتنان بنعمة الرزق ؛لأنها تشير إلى الإبقاء [1] فبها مع الإيجاد يتحقق الإحياء الكامل .

وفي سياق إبطال إنكار الكفار للحشر ولوجود الإله يأتي قوله: ﴿ كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ﴾ ﴿ ين يى ﴾ ﴿ [الجاثية ٢٦] ، وفي ذلك يقول الرازي:" واعلم أنه تعالى حكى عنهم بعد ذلك شبهتهم في إنكار القيامة وفي إنكار الإله القادر، أما شبهتهم في إنكار القيامة فهي قوله تعالى: ﴿ ﴾ .... وأما شبهتهم في إنكار الإله الفاعل المختار، فهوقولهم: ﴿ ﴾... فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك"[2] ، وجاءت الآية موضع الدرس لتثبت الألوهية والحشر ، وتولت الآية الرد على تعنت جديد ، وهوقولهم: ﴿ ﴾ ؛لأنهم " لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت؛ ألزموا ما هم مقرون به من أن الله عز وجل هوالذي يحييهم ويميتهم ، وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هوواجب الإقرار به إن أنصفوا أوأصغوا إلى داعي الحق وهوجمعهم إلى يوم القيامة ومن كان قادرًا على ذلك كان قادرًا على الإتيان بآبائهم وكان أهون شيء عليه "[3]، فاختصاص الله تعالى بالإحياء والإماتة يبطل ادعاءهم بقدرة الدهر على ذلك ، ويضيف إثبات قدرة الله تعالى على جمعهم يوم القيامة مما يقاس عليه إمكان تحقيق طلبهم وهوالإتيان بآبائهم ، وفي السياق ملمح توبيخ وتقريع لهم بكونهم يتبعون الظن ، وأن أكثرهم ﴿ ﴾ لجهلهم وقصور فكرهم [4] ، وفي نفي العلم عن أكثرهم إشارة إلى أن بعضهم سيتدبر الآيات الآيات ويؤمن.

وجاء فعلا الإحياء والإماتة مضارعين للإشارة إلى تكرر حدوثهما [5] ، ودل استعمال المضارع في فعل الجمع على أصل معناه من الاستقبال . ولعل في إيثار لفظ الجمع يوم القيامة ﴿ ﴾ دعوة لهم إلى الرجوع عن

١– انظر الرازي ج٢٥ ص١٢٧، الطاهر ج٢٢ ص٢٥٤آية فاطر٣، الطاهرج٢٤ ص١٩١ آية غافر ٦٤

٢– الرازي ج ٢٧ ص ٢٦٩.

٣– الزمخشري ج ٣ ص ٥١٣.

٤– انظر البقاعي ج ١٨ ص ١٠٢–١٠٣ ، أبوالسعود ج ٨ ص ٧٤.

٥– انظر البقاعي ج ١٨ ص ١٠١

٦– انظر أبوحيان ج ٨ ص ٥٠ .

الكفر والإيمان بالله الإله الواحد القادر ، وهوملائم من جهة أخرى لما بنيت عليه السورة من ذكر البعث والرجوع إلى الله تعالى للحساب في آيات عدة سابقة لهذه الآية، ولاحقة[1].

وهكذا نجد عند التأمل في سياقات ذكر مفعول فعلي الإحياء والإماتة ضميرًا للمخاطبين قدرًا من التوبيخ لما في المخاطبة والمواجهة بالحقيقة التي ينكرونها من الردع والتقريع على هذا الكفر، وفيه ملمح لطف بكل من يسمع الآيات بحثهم على التراجع بعد التأمل والتفكر وعلى الإيمان بالله الذي لا ينكرون تفرده بالقدرة على الإحياء والإماتة.

والآيات – عدا آية البقرة– ذكرت إحياءً أولًا يشاهدونه ، وأثبتت الإحياء الثاني بالقياس أولوضوح أدلته ، وانفردت آية البقرة بذكر الموت السابق للحياة الأولى، ولعل الحكمة من ذلك ذكر قصة خلق آدم عليه السلام ، وهوأول الخلق حيث أوجده الله تعالى من العدم، ونفخ فيه من روحه فوهبه الحياة .

وتختلف دلالة ذكر المفعول لفعلي الإماتة والإحياء حين يكون ضميرًا للمتكلم الذي ورد في موضعين ، أولهما : على لسان إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ كج كح كخ كل كم﴾ [الشعراء:٨١] ، والثاني : على لسان الكفرة في النار في قوله تعالى: ﴿ تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم﴾ [غافر: ١١]. أما ضمير المتكلم في قول إبراهيم عليه السلام فهواعتراف المؤمن الأواه المنيب أن له ربًّا يميته ثم يحييه للبعث [2] ، وفيه اعتراف ضمني بأنه أحياه من العدم أومن الموت الأول ، وقد ورد ضمن آيات كمال قدرة الله تعالى التي تثبت الألوهية له وحده وتنفيها عن آلهتهم المزعومة. وجرى السياق من قوله: ﴿ سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم﴾ [الشعراء: ٧٧ – ٨١] على استعمال ضمير المتكلم " تصويرًا للمسألة في نفسه ... وأراهم أنها نصيحة نصح بها نفسه أولًا ، وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ... ليكون أدعى لهم على القبول "[3] ، وهوما يعد استمالة لهم إلى الحق . وفي العطف بـ(ثم) في قوله { كخ كل } ذهب البقاعي إلى دلالة التراخي الزمني والرتبي المفيد لبعد مابين

١- آية ١٥ ،١٧، ٢٢، ٢٧ ، ٢٨، ٣٢.

٢– سيد قطب في ظلال القرآن المجلد ٥ ص٢٦٠٣ .

٣– الزمخشري ج ٣ ص ١١٦ .

المرحلتين في الرتبة [1] ، في حين ذهب الألوسي إلى القول بالتراخي الزمني [2] ومثله في كون المفعول ضميرا للمتكلم آية غافر: ﴿ ثن ثر ثز ثم ﴾ [غافر: ١١] التي وردت في سياق توبيخ الكافرين على كفرهم في قوله تعالى: ﴿ ثن ثر ثز ثم ثن ثى ثي ﴾ ﴿ بم بن بى بي تر ﴾ [غافر: ١٠] ، وذكرت اعترافهم بالإحيائين: الأول من العدم، والثاني للبعث والإماتتين: الأولى وهي العدم ،والثانية في الدنيا ، ويحمل هذا الاعتراف؛ لأنه اعتراف المضطر في قول الحقيقة؛ لأنه بين يديها أوهي بين يديه قدرًا من الاستعطاف والاسترحام لله تعالى لرجائهم الخروج من النار [3] ﴿ ثن ثى ثي فى في قى ﴾ [غافر: ١١]، وتتجلى في هذه الآية – والقرآن كله شاهد على ذلك – جمع النظم القرآني بين الفخامة والعذوبة كما ذكر الخطابي [4] فهي تجمع بين عظمة تفرد الله تعالى بالألوهية بقدرته وحده على الإحياء والإماتة ، ورحمته التي يستمطرها اعترافهم بهذه القدرة واقعة عليهم . كما تتجلى فيما سبق من الآيات ، حيث اجتمع في التركيب الواحد عنصرا الترغيب والترهيب.[5]

ومن الملحوظ اقتران الإحياء والإماتة في عدة مواطن بذكر ملك الله للسموات والأرض ؛ لأنهما من مقتضيات ملكه تعالى لهما كما في آية الحج السابق ذكرها ، حيث ورد قبلها قوله تعالى:

﴿ ثن غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم ﴾ الحج: ٦٤. ، ومثلها آية الجاثية ، حيث ورد بعدها قوله تعالى: ﴿ ثن ئج ئح ئخ ئم ئه ﴾ ﴿ بج بح بخ بم به تج ﴾ [الجاثية: ٢٧]، وفيهما ذكر مفعولا فعلي الإحياء والإماتة.

وجاء ذكر ملك الله تعالى للسموات والأرض في الضرب الثاني من آيات ذكر الإحياء والإماتة الذي حذف فيه مفعول فعلي الإحياء والإماتة في عدد أكبر من المواضع

١– انظر البقاعي ج ١٤ ص ٥٣ .

٢– انظر الألوسي ج ١٩ ص ١٢٦

٣– انظر ابن عطية ج١٤ ص١٢٠ ، أبوحيان ج٧ ص٤٣٥ ، ابن كثير مج ٤ ج ٢٤ ص٦٥ ، البقاعي ج١٧ ص١٨ ، الطاهر ج٢٤ ص٩٧.

٤– انظر أبوسليمان حمد بن محمد الخطابي : رسالة بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز تحقيق محمد خلف الله أحمد ، دكتور محمد زغلول سلام ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ص ٢٦.

٥– انظر ص ١١ وما بعدها من هذا البحث.

من سابقه ، ومع أن الإمام عبد القاهر الجرجاني ذكر الحكمة من هذا الحذف وهوإثبات حكم الفعل للفاعل[1] ، إلا أنه من الممكن القول بأن الحكمة من حذف مفعولي الفعلين هنا لشمول تعلقهما بكل ما يقبل الموت والحياة في السموات والأرض ؛ لما ذهب إليه عدد من المفسرين من أن لكل كائن حياة خاصة ، فذكر بعض المفسرين أن معنى الحياة أي حياة الأجساد وحياة القلوب كما في قول البقاعي: ﴿ئنآ بى بي ﴿ئم[البقرة: ٢٥٨] أي بكل معنى فهوالذي أحياكم وغيركم الحياة الجسمانية وخصكم أنتم بالحياة الإيمانية "[2] ، في حين ذهب آخرون إلى شمول معنى الحياة لكل شيء مثل الشعراوي الذي قال: إن " الحياة هي ما أودعه الله في كل ذرة في الكون مما تؤدي به مهمتها ، ففي ذرة الرمل حياة والجبل فيه حياة، وكل شيء فيه حياة بنص القرآن حيث يقول: ﴿ئنآ ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي﴿ئم [الأنفال: ٤٢] إذن: فالحياة مقابلها الهلاك ، وفي آيات أخرى يقابل الحياة الموت ، فالهلاك هوالموت. فإذا قال الحق سبحانه: ﴿ئنآ لى لي ما مم نر﴿ئم [القصص: ٨٨] إذن: فكل شيء قبل أن يكون هالكًا كان حيًّا ، وهكذا نعرف أن الحياة ليست هي الحس والحركة الظاهرتان ... فكل شيء في الوجود له حياة تناسبه فلوجئت بمعدن مثلاً وتركته ستجده تأكسد أي حدث فيه تفاعل مع مواد أخرى فهذه حياة "[3] . والحياة المادية في الكائنات حقيقة، والحياة المعنوية في الجمادات والمعاني من قبيل المجاز .

ومن هذه الآيات التي يسبق فيها ذكر فعلي الإحياء والإماتة بذكر ملك الله تعالى للسموات والأرض ، ويحذف فيها متعلقهما قوله ﴿ئنآ ير ﴿يز يم ين يى ﴿يى ئج ئح ئخ ﴿ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم تى ﴿ثي جح جم حج حم خج خم ﴿سج سح سخ سم ﴿صح ﴿ئم [الأعراف: ١٥٨]؛حيث ورد فعلا الإحياء والإماتة بعد ذكر ملكه تعالى للسموات والأرض ووحدانيته كونهما من آيات الملك والوحدانية الظاهرة ليرتب عليه الأمر بالإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك يقول أبوحيان: " وفي حصر الإلهية له نفي الشركة؛ لأن من كان له ملك هذا العالم لا يمكن أن يشركه أحد فهوالمختص بالإلهية ،

١-انظر أبوبكر عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ ، دار المدني بجدة ، مطبعة المدني بمصر ص ١٥٤-١٥٥

٢- البقاعي ج ٩ ص٣٤ آية التوبة ١١٦.

٣- خواطر الشعراوي مجلد٩ ص٥٥٤٦-٥٥٤٧ آية التوبة ١١٦ .

وذكر الإحياء والإماتة إذ هما وصفان لا يقدر عليهما إلا الله وهما إشارة إلى الإيجاد لكلّ شيء يريده الإعدام " [1] وبالاستئناس بقوله: "الإيجاد لكل شيء يريده الإعدام " ، وبما ذكره الخطابي من الاستعمال الاستعاري للهلاك [2] ، وما ذهب إليه البقاعي والشعراوي في معنى الحياة والموت ، وبما ذكره ابن كثير في آية "يس" التي ستأتي دراستها لاحقًا ﴿ سج سح سخ سم﴾ [يس:١٢] من أن فيه إشارة إلى إحياء الله تعالى لقلوب من يشاء من الكفار[3] ، أقول : بالاستئناس بكل هذا لعلنا نلمس في إطلاق فعلي الإحياء والإماتة في آية الأعراف بعد ذكر اتباع المؤمنين للنبي عليه السلام في قوله: ﴿ ئر ئز ....ئم [الأعراف: ١٥٧] إشارة – مع دلالة الإحياء والإماتة الحقيقية – إلى إحياء قلوبهم بالإيمان وإحياء المعروف ، وإحياء الهداية لمن سيتبع الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفيه بالمقابل إماتة هذه المعاني في قلوب من كذبه وكفر بالله تعالى .

وجاء في آية التوبة﴿ ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم ثه ثم [التوبة: ١١٦] ذكر الإحياء والإماتة دليلاً على ملك الله تعالى للسموات والأرض ، يقول الطاهر " وزيادة جملتي {ئم ئه بج} لتصوير معنى الملك في أتم مظاهره المحسوسة للناس المسلم بينهم أن ذلك من تصرف الله تعالى لا يستطيع أحد دفع ذلك ولا تأخيره" [4] ، وما دام كل شيء تحت سلطانه وكل ما في السموات والأرض تحت مشيئته فالأولى بهم أن يؤمنوا به؛ لأنه ليس لهم من دونه ولي ولا نصير ، وفيه تهديد لهم .

ولعل في إطلاق فعلي الإحياء والإماتة ، مع الدلالة الحقيقية هنا إشارة إلى حياة القلوب بالإيمان وموت قلوب الكافرين من المنافقين والأعراب وموت ثواب أعمالهم ﴿ما هم نر نز نم[التوبة: ٩٧] ، وفيه بعد ذلك معنى الحياة والموت لكل ما في السموات والأرض .

وفي سورة يونس جاء قوله ﴿ يي يى ذٰ رٰ ىٰ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي ثم [يونس: ٥٥ – ٥٦]، في سياق الرد على سؤال الكفار استهزاء عن البعث ﴿ هج هم هٰ ثم [يونس: ٥٣]، وبيان أن الظالم لن يستطيع الافتداء من العذاب بشيء[5] ،

---

١ أبوحيان ج ٤ ص ٤٠٤ .

٢ انظر الخطابي : بيان إعجاز القرآن ص ٤٤.

٣ انظر ابن كثير مج ٣ ج ٢٢ ص ٥٢٦ .

٤– الطاهر ج ١١ ص ٤٨.

٥– اية ٥٤.

ودل ملكه تعالى للسموات والأرض على أنه سبحانه " يتصرف في الناس وأحوالهم في الدنيا والآخرة تصرفًا لا يشاركه فيه غيره ؛ فتصرفه في أمور السماء شامل للمغيبات كلها ، ومنها إظهار الجزاء بدار الثواب ودار العذاب، وتصرفه في أمور الأرض شامل لتصرفه في الناس. ثم أعقب بتحقيق وعده ، وأعقب بتجهيل منكريه ، وأعقب بالتصريح بالمهم من ذلك وهوالإحياء والإماتة والبعث" [١] ، فقصْرُ فعلي الإحياء والإماتة على الله وحده من أكبر الأدلة على تفرده سبحانه بملك ما في السموات والأرض وما يدل عليه من التفرد بالألوهية . وهذان الأمران: الألوهية والبعث هوما بنيت عليه السورة ، فقد قامت السورة من أولها [٢] على ذكر مظاهر ألوهيته تعالى وتكررت هذه المظاهر في ثنايا السورة ، وعلى إثبات الحشر [٣] ، وتكرر ذلك أيضًا في ثناياها [٤] .

واستئناسًا بما أشار إليه الرازي من عموم ملك الله تعالى للسموات والأرض لكل " مافي العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور "[٥] فمن الممكن القول بتصرف الله تعالى تعالى فيها بالإحياء والإماتة . وفي إثبات الرجوع إلى الله ﴿ثم إليه ترجعون﴾ [البقرة: ٢٤٥] تهديد وتحذير لهؤلاء الكفار ، ودعوة لهم للإيمان به سبحانه بعد وضوح الدلائل[٦].

وإذا كان البقاعي قد أكد هنا في آية يونس على معنى الحياة فقط للإنسان حين قال " والحياة معنى يوجب صحة العلم والقدرة ويضاد الموت، وهويحل بسائر أجزاء الحيوان فيكون بجميعه حيًّا واحدًا ، والحي هوالذي يصح أن يكون قادرًا والقادر هوالذي يصح أن يذم ويحمد بما فعل ، والموت يضاد الحياة على البيئة الحيوانية وليس كذلك الجمادية " [٧] إلا أنه أشار في موضع سابق إلى المعنى المجازي بإحياء الإيمان ، وفي آية الحديد: ﴿هو الأول والآخر﴾ [الحديد: ٢] ذكر معنى إثبات صفة الإحياء للخلق دون تعلقها بمتعلق خاص وهوقريب مما يعرف عند البلاغيين بتنزيل المتعدي منزلة اللازم فـ " يحيي أي: له صفة

١- الطاهر ج ١١ ص ١٩٩.

٢- آية ٣ .

٣- آية ٤ .

٤- انظر الرازي ج ١٧ ص ١٦.

٥ الرازي ج ١٧ ص ١١٣ .

٦ انظر الزمخشري ج ٢ ص ٢٤١.

٧ – البقاعي ج ٩ ص ١٤٣ .

الإحياء، فيحيي ما يشاء من الخلق بأن يوجده على صفة الأحياء كيف شاء في أطوار يتقلبها كيف شاء وكيف يشاء ومما يشاء " [1] ، وقال الرازي:" ليس المراد من تخصيص الإحياء والإماتة بزمان معين وبأشخاص معينين؛ بل معناه أنه هوالقادر على خلق الحياة والموت كما قال في سورة الملك: ﴿ نج نح نخ نم ﴾ [الملك: ٢]، والمقصود منه كونه سبحانه هوالمنفرد بإيجاد هاتين الماهيتين على الإطلاق ، لا يمنعه عنها مانع ولا يرده عنها راد " [2] ، وهما يلتقيان هنا مع رأي الجرجاني في الحكمة من حذف المفعول [3] ، ولا يمنع هذا من وجود مفعول يقع عليه فعلا الإحياء والإماتة، وهوكل ما في السموات والأرض.

وفي آية الحديد: ﴿ ضح ضخ ضم طحظم عج عمغج غم فج فح فخ فم ﴾ [الحديد: ٢] ذُكر فعلا الإحياء والإماتة في سياق ملكه تعالى السموات والأرض؛ لأنهما " مما يشتمل عليه معنى ملك السموات والأرض؛ لأنهما من أحوال ما عليهما . وتخصيص هذين بالذكر للاهتمام بهما لدلالتهما على دقيق الحكمة في التصرف في السماء والأرض ، ولظهور هذين الفعلين لا يستطيع المخلوق ادعاء أن له عملاً فيهما ، وللتذكير بدليل إمكان البعث الذي جحده المشركون " [4] ، فتفرد الله تعالى بالقدرة على الإحياء والإماتة دليل على الألوهية، وفيه إثبات للبعث الذي ينكره الكفار . ولعل إطلاق فعلي الإحياء والإماتة بعد ذكر تسبيح ما في السموات والأرض لله وملكه تعالى لهما يشير إلى موت وحياة كل ما فيهما وما بينهما مما نعلم ومالا نعلم مما يسبح له.

وقريب من هذا السياق في ربط القدرة على الإحياء والإماتة بملك السموات والأرض قوله: ﴿ تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ﴾ ﴿ ثن ثى ثي ﴾ الدخان: ٨، بعد ذكر ربوبيته للسموات والأرض بقوله: ﴿ ئن ئى ئي بر بز بم ﴾ ﴿ بن بى بي ﴾ الدخان: ٧ التي تبين أنه مالك الملك كله [5] ، وقوله { تي ثر ثز } إثبات لذلك " لأن ذلك من أجل ما فيهما من التدبير،

---

١ البقاعي ج١٩ ص ٢٥٤.

٢ الرازي ج ٢٩ ص ٢٠٩ آية الحديد ٢.

٣ انظر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٥٤–١٥٥ .

١ – الطاهر ج٢٧ ص٣٥٩ ، وانظر أبوحيان ج ٨ ص ٢١٦ .

٥ انظر البقاعي ج ١٨ ص ٩.

وهوتنبيه على تمام دليل الوحدانية ، لأنه لا شيء ممن فيهما يبقى ليسند التدبير إليه"[1] ففعلا الإحياء والإماتة من مقتضيات الألوهية وهما يقعان على الأحياء ، وهذا يستلزم الإقرار بالبعث عن طريق القياس أوالأدلة ، ويقعان أيضا على المعاني فتحيا قلوب المؤمنين بالهداية وتموت قلوب من فضل الكفر على الإيمان . والآية جاءت في سياق آيات ذكر فيها القرآن الكريم ، ولعل مما يدخل فيه – أي الإطلاق– إحياء البركة في ليلة نزول القرآن ، وإحياء الرحمة التي أرسلها الله تعالى لعباده ﴿ بز بم ﴾ [القصص: ٤٦] ، وفي المقابل يكتب الموت على القلوب التي لا تؤمن بالقرآن ولا تهتدي بهديه .

وقريب من هذا السياق أيضًا ذكر الإحياء والإماتة ضمن مجموعة من آيات ألوهية الله تعالى وكمال قدرته في الكون مما يدل على كمال ملكه له ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، الذي سبقه إنشاء السمع والأبصار والأفئدة ، والذرء في الأرض ، وأعقبه ذكر اختلاف الليل والنهار، وكل هذه الآيات دلائل انفراد بالألوهية والقدرة، ويدخل فيها القدرة على البعث . يقول ابن عطية في الحكمة من ذكر هذه الآيات: " ابتدأ تعالى بتعديد نعم في نفس تعديدها استدلال بها على عظيم قدرته وأنها لا يعزب عنها أمر البعث ولا يعظم "[2] . وهذه الآيات والأدلة على الألوهية والبعث توسطت بين ذكر تكذيب الكافرين بآيات الله تعالى[3] ، وبالبعث[4] قبلها ، وتصريحهم بهذا التكذيب[5] بعدها مما يدل على إصرارهم عليه ، ولذلك حاجهم القرآن بما هم مقرون به من كونه تعالى رب الأرض والسماء ورب العرش العظيم ، وبيده ملكوت كل شيء[6] .

ومثل آية المؤمنون في ذكر الإحياء والإماتة ضمن مجموعة من آيات ألوهية الله تعالى وكمال قدرته قوله: ﴿ ثر ثز ثم ثن ثى ثي بز بم بن بى ﴾ غافر: ٦٨، حيث ورد مع مجموعة من أدلة إلهية الله تعالى من خلق السموات والأرض ، وجعل الليل

---

١ لبقاعي ج١٨ ص ١١.

٢ ابن عطية ج ١١ ص ٢٤٧ ، وانظر أبوحيان ج ٦ ص ٣٨٥ ، الرازي ج ٢٣ ص ١١٤.

٣ آية ٦٦-٦٧.

٤ آية ٧٤.

٥ آية ٨١-٨٢.

٦ آية ٨٤-٨٩.

سكنًا والنهار مبصرًا والأرض قرارًا والسماء بناءً ، ومن حسن تصوير خلق الإنسان ، ومن كونه سبحانه الحي الحياة الكاملة التي تليق بجلاله ، ومن كونه مقدرًا مراحل خلق الإنسان من التراب إلى الوفاة ، وفي هذا يقول الرازي إنه " تعالى لما أمر بالدعاء ، فكأنه قيل: الاشتغال بالدعاء لا بد وأن يكون مسبوقًا بحصول المعرفة ، فما الدليل على وجود الإله القادر ، وقد ذكر الله تعالى هذه الدلائل العشرة على وجوده وقدرته وحكمته " [1] فهذه الآيات إثبات لألوهيته ولقدرته المطلقة على الخلق والتقدير وتدبير الكون وعلى البعث الذي كانوا ينكرونه ، وجاء قوله ﴿ ٱ ﴾ غافر: ٦٨ دليلاً على ذلك ، وختمت الآية بقوله: ﴿ ﴾ غافر:٦٨ للدلالة على تمام إرادته ونفاذها فيما شاء من أمر القيامة وغيرها.

ومثله في مجيء فعلي الإحياء والإماتة مع مجموعة من آيات ألوهية الله تعالى وكمال قدرته وتمام سلطانه وحده على الكون قوله تعالى: ﴿ ﴾ النجم: ٤٤ الذي ورد ضمن آيات الألوهية والقدرة ابتداء من قوله تعالى: ﴿ ..... ﴾ [النجم: ٤٢-٥٣] ، التي صرح فيها بالقدرة على البعث . ودل ضمير الفصل (هو) في قوله تعالى: ﴿ ﴾ على أنه وحده دون غيره المختص بالإحياء والإماتة ، فالقدرة على إيجاد الضدين الموت والحياة من أعظم دلالات كمال القدرة والعلم ، وهي من خصوصيات الألوهية الحقة [2] . ولعل حذف متعلق الفعلين؛ ليفيد وقوعهما على كل ما يقبل الموت والحياة من الكائنات ما علمنا منها وما لم نعلم .

ولعل مجيء فعلي الإحياء والإماتة في آية النجم هنا ماضيين هوللدلالة على تحققهما أمام من من كفر وتولى ، في حين جاءا في الآيات السابقات فعلاً مضارعًا دالاً على التجدد والاستمرار [3] إيماءً إلى تكرر حدوثهما ، واستحضارًا لصورهما في ذهن المخاطب مما يعرفه من إحياء النطف والأرض؛ تحذيرًا له من سوء العاقبة .

وورد ذكر الإحياء والإماتة دليلاً على الألوهية وكمال قدرة الله تعالى في سياق مختلف في قوله تعالى: ﴿ ﴾

---

١ الرازي ج ٢٧ ص ٨١ وانظر الطاهر ج ٢٤ ص ١٨٢ وما بعدها .

٢ انظر البقاعي ج ١٩ ص ٧٤ .

٣- انظر البقاعي ج ١٨ ص ١٠١ آية الجاثية ٢٦ ، ج ١٩ص٢٥٥ تفسير آية الحديد (٢).

طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ نج نح نخ ثم آل عمران: ١٥٦، الذي رد وهْم من ظنوا أن عدم خروج إخوانهم للحرب سيبقيهم أحياء فأجابتهم الآية:{ لخ لم له مج } ، يقول الألوسي:" أي والله هوالمؤثر الحقيقي في الحياة والممات وحده لا الإقامة أوالسفر ، فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما موارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد وإن كانا تحت ظلال النعيم ، وليس المراد أنه تعالى يوجد الحياة والممات وإن كان هوالظاهر؛ لأن الكلام ليس فيه ولا يحصل به الرد وإنما الكلام في إحداث ما يؤثرهما " [1] ، ثم ذكرتهم بختامها بأنه عالم بكل ما يفعلون ومجازيهم عليه[2] .

وفي سياق آخر جاء ذكر الإحياء والإماتة على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام دليلاً على وجود الله تعالى ووحدانيته في قوله تعالى:ثنٱ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نم البقرة: ٢٥٨، ودليل إبراهيم عليه السلام في غاية الصحة كما قال الإمام الرازي، وذلك أنه " لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بواسطة أفعاله التي لا يشاركه فيها أحد من القادرين، والإحياء والإماتة كذلك؛ لأن الخلق عاجزون عنهما " [3] . ولذلك جاء بذكر الموصول الذي يدل على معرفة النمروذ بمضمون الصلة وهوما يثبت تعنته في الإذعان للحق .

وإذا كان إسناد فعلي الإحياء والإماتة فيما سبق لضمير الغائب إثباتًا لكمال قدرة الله تعالى على مقتضيات الألوهية ، فإن في إسنادهما لضمير المتكلم الدال على العظمة في قوله: ثنٱ لم لى لي ما مم نر نم الحجر: ٢٣ وقوله: ثنٱ بر بز بم بن بى بي تر ثم ق: ٤٣ ، مزيدا من تعظيم تلك القدرة ، مع اختلاف سياقي الآيتين ، فآية الحجر جاءت ضمن دلائل التوحيد بدءا من قوله تعالى: ثنٱ لخ لم لى لي مج مح مخ..... لم لى لي ما مم نر نم الحجر:١٦- ٢٣، ويدخل فيها ضمنًا البعث يقول الرازي: " اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهة منكري النبوة وكان قد ثبت أن القول بالنبوة مفرع على القول بالتوحيد أتبعه

---

١ الألوسي ج ج٤ ص ٤٣٥ .

٢ انظر ابن جرير ج ٤ ص ٥٠٣ .

٣ الرازي ج ٧ ص ٢٣.

تعالى بدلائل التوحيد "[1] ، وآية (ق) جاءت في سياق ذكر البعث الذي سماه البقاعي الإحياء الأعظم حيث قال:" ولما بنيت دعائم القدرة، ودقت بشائر النصرة، وختم بما يصدق على البعث الذي هوالإحياء الأعظم دالاً بما هومشاهد من أفعاله وأكده لإنكارهم البعث فقال"أنا" بما لنا من العظمة" نحن" خاصة نحيي ونميت "[2] .

وتتضافر التوكيدات في آية الحجر من استعمال الأداة" إن" ، وضمير الفصل متصلاً بلام التوكيد" لنحن" مما يفيد تخصيص هذه القدرة بالله تعالى ، ويرى الطاهر أن استعمال هذه التوكيدات تنزيلاً للكفار منزلة منكري قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة؛ لأنهم موقنون أنه لا يقدر عليهما إلا الله تعالى[3] ، والذي ينكرونه هوالإحياء الثاني للبعث .

ومما يلحظ مجيء الأفعال من أول السورة بالإسناد لضمائر العظمة ، وفي محاولة معرفة الحكمة من استعمال ضمير العظمة وتوالي التوكيدات ، وبالتأمل فيما قبل هذه الآيات نجد درجة من الكفر والعناد عند الكافرين كبيرة ، فهم يستهزئون بالرسول صلى الله عليه وسلم ويتهمونه بالجنون ، ويطلبون من الآيات ما يظهر عنادهم وتمردهم مثل طلبهم نزول الملائكة؛ بل إن الآيات تصف بلوغهم فيه المدى الأكبر ، وهولوأن الله تعالى فتح لهم بابًا إلى السماء تصديقًا لرسوله وعرجوا فيه لقالوا إن هذا سحر وكذبوه ؛ ولعل لهذه الدرجة الطاغية من الكبر والعناد ، ولذكر كبر إبليس وتأبيه على طاعة ربه ، ولذكر قصة أصحاب الحجر وتكبرهم على عبادة الله جاءت آيات السورة بضمير العظمة ، ومنها آيات ألوهية الله تعالى وكمال قدرته في السموات والأرض وما بينهما .

وإطلاق فعلي الإحياء والإماتة كما ذكر البقاعي في آية الحجر ليشمل معنى الإحياء " من الحيوان بروح البدن، ومن الروح بالمعارف، ومن النبات بالنمو، وإن كان أحدهما حقيقة والآخر مجازًا إلا أن الجمع بينهما جائز و{ ما} أي من هذه الصفة فنبرز بها من عظمتنا ما نشاء " [4] ، ويزيده سعة الشيخ الشعراوي ليشمل كل شيء فيقول:" فهويحدثنا عن أمرين يعتوران حياة كل موجود هما الحياة والموت، وكلاهما يجري على كل الكائنات

---

١ الرازي ج ١٩ ص ١٦٨ وانظر البقاعي ج ١١ ص ٤٠.

٢ البقاعي ج ١٨ ص ٤٤١ .

٣ انظر الطاهر ج١٤ ص ٣٩.

٤ البقاعي ج ١١ ص ٤٠ .

فكل شيء له مدة يحياها وأجل يقضيه، وكل شيء يبدأ مهمة في الحياة فهويولد وكل شيء ينهي مهمته في الحياة بحسب ما قدر الله له فهويموت " [1].

أما آية (ق) فالظاهر في دلالة الإحياء فيها إحياء من أماتهم الله تعالى في الدنيا يوم البعث لتوسط الآية بين قوله: ﴿ ٱ ﴾ ق: ٤٢، وقوله: ﴿ ٱ ﴾ ق: ٤٤ ، ولا يمنع دخول الإحياء الأول كما أشار البقاعي[2] ، ولا يمنع دخول معنى الإحياء والإماتة لكل ما يقبلهما مما خلق الله تعالى ، ولعل الحكمة من إسناد الأفعال هنا لضمير العظمة ما تخبر عنه من شأن البعث الذي يدل على عظمة الله تعالى وكمال قدرته، ويتكرر ورود إسناد الأفعال لضمير العظمة في السورة مثل سورة الحجر.

وجاء مفعول الفعلين ضميرًا للغائب في سياق إحياء الله تعالى لبعض خلقه بعد إماتتهم في الدنيا دليلاً على ألوهيته وكمال قدرته ، نجد ذلك في قصة إحياء الله تعالى لرجل أماته فيها ثم أحياه في قوله تعالى: ﴿ ٱ ﴾ البقرة: ٢٥٩

ويلحظ مجيء لفظ البعث بدل الإحياء الثاني ، وفي الحكمة من ذلك يقول الرازي " لأن قوله (به تج) يدل على أنه عاد كما كان حيًا عاقلًا فهمًا مستعدًا للنظر والاستدلال في المعارف الإلهية " [3] ، ولعل الحكمة من إسناد الفعلين لضمير الغائب هي كونهما يحكيان قصة ما حدث ، ولعل فيها شيئًا من إعراض عن حضور صاحب القصة لاستبعاده إحياء الأرض بعد موتها

وقريب منه في الحكمة من البعث في الدنيا وهي الإقدام على الطاعة [4] ، وفي كون الضمير في الفعلين للغائب قوله تعالى: ﴿ ٱ ﴾ البقرة: ٢٤٣؛ حيث أماتهم الله تعالى ثم أحياهم ليعلموا أن الله وحده الإله الحق القادر على الإحياء والإماتة ، وأن العصمة من إدراك

---

١ الشعراوي ج ١٢ ص ٧٦٨٠ .

٢ انظر البقاعي ج ١٨ ص ٤٤١

٣الرازي ج٧ ص ٣٢ , وانظر أبوالسعود ج١ ص ٢٥٣ , الألوسي ج٣ ص ٣٠.

٤ انظر الرازي ج ٦ ص ١٦١.

الموت لا يكون بالهروب من الديار . ولعل في نصب فعلي الإماتة والإحياء لضمير الغائب نفس الحكمة في آية المار على القرية ، وهي أن الآية تحكي أمرًا قد حدث ، ولعدم ملاءمة حضور من خرج من دياره فارًّا من قدر الله وهوالموت في الخطاب.

وقريب منهما في الحكمة من ذكر البعث في الدنيا قوله تعالى وصفًا لما وقع لقوم موسى بعد أن ماتوا بالصاعقة حين طلبوا رؤية الله تعالى جهرة: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٥٥ – ٥٦، فورد ذكر الإحياء بعد الموت دليلا على كمال قدرة الله ، وأوثر لفظ { ثُمَّ } على أحييناكم كما ذكر المفسرون لإفادة معنى إعادتهم للدنيا عقلاء قادرين على العمل؛ ليتمكنوا من الإيمان والعمل الصالح[1] . غير أن المفعول هنا ضمير للمخاطب ولعل في ذلك تقريرًا لهم بفضل الله عليهم بإشهادهم آية بعثهم بعد موتهم ، وفيه ملمح توبيخ كما سبق بالمواجهة لعدم قيامهم بحق الله تعالى في الاعتراف بالنعمة والإيمان بالألوهية والبعث.

والملحوظ أن الإحياء في الدنيا جاء في الآيات الثلاث بأداة العطف ثم، وذلك " لمّا كان إحياؤهم من ذلك في الدار في غاية البعد وخرق العادة " [2] .

---

١ انظر الرازي ج٣ ص٨٦ , البقاعي ج١ ص ٣٨٣–٢٨٤.

٢ البقاعي ج١ ص ٣٨٢.

القسم الثاني

إثبات القدرة على البعث (إحياء الموتى)

جاء ذكر فعلي الإحياء والإماتة في هذا القسم إثباتا للقدرة على البعث بجعل الموتى مفعولاً لفعل الإحياء: { ﭼ ﭽ} مما يؤكد وقوعه . ولكونه تقريرًا وتأكيدًا للبعث فقد سبق في أغلب السياقات بما يهيء له من دلائل ، مثل خلق الإنسان ، وإخراج النبات من الأرض ، وخلق السموات والأرض ، وإحياء ميت في الدنيا ،وجاء إثباته ابتداء في بعض المواضع .

فمما سبق فيه إحياء الموتى بذكر خلق الإنسان قوله تعالى: ﴿ٱ ﯨ ﯩ يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج ﴾ القيامة: ٣٧ – ٤٠؛ حيث ذكر القرآن الإنسان بأصل خلقه وإنشاء الله تعالى له من العدم ، نطفة ثم علقة ثم إنسانًا مستوي الخلقة على أحسن ما يكون احتجاجًا على البعث ، فمن قدر على الإنشاء من العدم قادر بحكم القياس أن يعيد خلقه مرة أخرى بعد موته ، ولذلك جاء قوله تعالى: { تخ تم ته ثم جح جم حج } حملاً للمخاطب على الإقرار بالبعث حين يتدبر ، وفي ذلك يقول الطاهر: " والاستفهام إنكار للمنفي إنكارَ تقرير بالإثبات وهذا غالب استعمال الاستفهام التقريري أن يقع على نفي ما يراد إثباته؛ ليكون ذلك كالتوسعة على المقرَّر إن أراد إنكارًا كناية عن ثقة المتكلم بأن المخاطب لا يستطيع الإنكار" [1] ، وفي الآية توبيخ[2] لمنكري البعث.

ومما استدل به على إحياء الموتى إخراج النبات في قوله تعالى: ﴿ٱ لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ﴾ الروم: ٥٠

يقول أبوحيان في تقرير هذا الاستدلال:" القادر على إحياء الأرض بعد موتها ، هوالذي يحيي الناس بعد موتهم . وهذا الإخبار على جهة القياس في البعث " [3] ، ويؤكده مجيء حرف (إن) في قوله { نم نه } الذي " يفيد مع تقرير الخبر زيادة معنى فاء التسبب ،كقول بشار:

---

١ الطاهر ج ٢٩ ص ٣٦٨ .

٢انظر ابن عطية ج ١٦ ص ١٨١.

٣ أبوحيان ج ٧ ص ١٧٤ .

كِرَّا صاحِبَيَّ قبل الهجير   إن ذاك النجاح في التبكير

إذ التقدير : فالنجاح في التبكير ، كما تقرر غير مرة " [1] ، وأشار بعض المفسرين [2] إلى تشابه إخراج النبات وإخراج الموتى بنزول المطر؛ لأن الله تعالى ينزل مطرًا على الأرض لإخراج الناس للبعث. ولأهمية البعث وشدة إنكار المشركين له صيغ بما يفيد تقريره وتأكيده ، فابتدئ في قوله { ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ } بإن التي تفيد التوكيد ، وورد اسم الإشارة (ذلك) العائد إلى " إلى اسم الله تعالى بما أجري عليه من الإخبار بإحياء الأرض بعد موتها ليفيد اسم الإشارة معنى أنه جدير بما يرد بعده من الخبر عن المشار إليه ، فالمعنى أن الله الذي يحيي الأرض بعد موتها لمحيي الموتى ، تقريبًا لتصور البعث " [3] ، ودل كونه للبعيد على تعظيم شأن الله تعالى وكمال قدرته [4] . واستعمال اسم الفاعل في { ﲂ ﲃ } دون الفعل يحيي لتحققه يقول الرازي " لما ذكر الدلائل قال لمحيي باللام المؤكدة وباسم الفاعل ، فإن الإنسان إذا قال إن الملك يعطيك لا يفيد ما يفيد قوله إنه معطيك؛ لأن الثاني يفيد أنه أعطاك ، فكان وهومعط متصفًا بالعطاء " [5]، وقريب منه في الاستدلال على إحياء الموتى بإحياء الأرض قوله تعالى: ﱡﭐ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﱠ فصلت: ٣٩؛ حيث أفاد اهتزاز الأرض وربوها بالنبات الإحياء بعد الجدب والقحط وشكل دليلاً تقريريًّا على إثبات البعث ، وفي وصف ذلك الإحياء والموت المستعارين لخروج النبات وقحط الأرض يقول الزمخشري: " الخشوع: التذلل والتصاغر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى: ﱡﭐ ﲍ ﲎ ﲏ ﱠ الحج: ٥، وهوخلال وصفها بالاهتزاز والربووهوالانتفاخ إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات؛ كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة " [6] وفي إيثار فعل الرؤية { ترى } ما يشير إلى

١ الطاهر ج ٢١ ص ١٢٤ .

٢ انظر على سبيل المثال ابن جرير ج ٢٤ ص ٨١٨ آية فصلت ٣٩ .

٣ الطاهر ج٢١ ص١٢٤.

٤ انظر البقاعي ج ١٥ ص ١٢٢ ، أبوالسعودج ٧ ص ٦٥ ، الشوكاني ج ٢١ ص ١١٣٨، الألوسي ج ٢١ ص ٧١ ، الطاهر ج ٢١ ص ١٢٤.

٥ الرازي ج ١٣ ص ١٣٣ ، وانظر البقاعي ج ١٥ ص ١٢٢ .

٦ الزمخشري ج ٣ ص ٤٥٤ وانظر ابن عطية ج ١٤ ص ١٨٩ ، البقاعي ج ١٧ ص ١٩٧ ، الألوسي ج ٢٤ ص ٥٠٣ ، الطاهر ج ٢٤ ص ٣٠٢ .

الجمع بين البصر والبصيرة في الوصول للحق ومعرفة كيفية الاستدلال [1] . وفي استعمال لفظ الموصول في قوله: ئنٱ نم نى ني ئم فصلت: ٣٩ دلالة على معرفتهم بأن الله تعالى هوالذي أحياها وتعليل للخبر [2] ، أي لما قدر سبحانه على إحيائها فهوقادر على إحياء الموتى . وذكر الإحياء مثل سابقه باستعمال اسم الفاعل ليفيد اتصاف الله تعالى بالقدرة على الإحياء اتصافًا ثابتًا مؤكدًا.

ومما اجتمع فيه الاستدلال بالآيتين: آية خلق الإنسان وآية الإنبات على إحياء الموتى قوله: ئنٱ لخ لم لى ليمج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ ئم الحج: ١ - ٦، فالآية ضمت في الاستدلال على إحياء الله تعالى للموتى إثبات قدرته على خلق الإنسان وإثبات قدرته على إحياء الأرض بالنبات بعد موتها بالجدوية واليبس ، والإشارة بـ (ذلك) " للإيذانِ ببُعدِ منزلتِه في الكمالِ " [3] ، وفي ذكر الحكمة من الجمع بينهما للدلالة على البعث يرى ابن عطية أن المتأمل فيها يجوز في العقل البعثة من القبور ، فإذا ورد خبر الشرع بوقوعه وجب التصديق به [4] ، في حين يرى الرازي أن فيها صفتين من صفات الله تعالى الدالة على إمكان البعث وهي القدرة والعلم " ولذلك فإن الله تعالى حيث أقام الدلالة على البعث في كتابه ذكر معه كونه قادرًا عالمًا " [5] وهوما سيتكرر في أكثر آيات هذا القسم .

وقد أجمع المفسرون على أن لفظ (هامدة) هنا ، و(خاشعة) في آية فصلت استعارتان لجدب الأرض ، والتفت بعضهم إلى ذكر الفرق بينهما ، فذكر البقاعي عن لفظ (خاشعة)

---

١ انظر البقاعي ج ١ ص١٩٦ .

٢ - انظر الطاهر ج ٢٤ ص ٣٠٣ .

٣ أبوالسعود ج ٧ ص ٩٥ وانظر الألوسي ج ١٧ ص ١٥٣ .

٤ انظر ابن عطية ج ١١ ص ١٧٧ ، أبوحيان ج ٦ ص ٣٢٧ .

٥- الرازي ج ٢٣ ص ١٠ .

" لما كان السياق للوحدانية عبّر بما هوأقرب إلى حال العابد ، بخلاف ما مضى في الحج "[1] ، وعن (هامدة) " ولما كان في سياق البعث ، عبر بما هوأقرب إلى الموت فقال {هامدة } أي يابسة مطمئنة ساكنة سكون الميت " [2] . وأضاف صاحب الظلال أن آية فصلت التي كان السياق فيها للعبادة والخشوع لم تزد على ذكر الاهتزاز والربو، في حين زادت آية الحج إنبات كل زوج بهيج [3] .

وجاء الاستدلال بخلق السموات والأرض على إثبات قدرة الله تعالى على إحياء الموتى في قوله تعالى: ﱡﭐ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﱠ الأحقاف: ٣٣، وذكر المفسرون هنا أن الرؤية تجمع بين رؤية البصر ورؤيا البصيرة في فهم الاستدلال والوصول للحقيقة التي ينكرونها وهي البعث [4]. وهمزة الاستفهام هنا للإنكار [5] " والإنكار منصب على إنكارهم البعث مع أن برهانه ظاهر " [6]، فأقيمت الحجة عليهم بما اعترفوا به وهوخلق الله تعالى للسموات والأرض على طريق القياس، فإن من خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بعد أن خلقهم ثم أماتهم[7] ، وفيه توبيخ لهم لهم وتعنيف لمن ينكر البعث مع وضوح أدلته[8] . ولما كان هذا الأمر واضحًا كل الوضوح جاء الجواب عنه بقوله (بلى) " والمعنى : بلى رأوا ذلك أن لونفعهم ووقع في قلوبهم "[9]

وجاء الاستدلال بإحياء الموتى في الحياة الدنيا على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى في الآخرة في آية البقرة: ﱡﭐ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﱠ البقرة: ٧٣، فقد أثبتت القدرة الإلهية على الإحياء يوم البعث بإحياء قتيل بني إسرائيل بضربه بقطعة من بقرة ميتة ليحيا. وفي الإشارة بـ(كذلك) دلالة على عظمة هذه

٤– البقاعي ج١٧ ص ١٦٩.

٢ البقاعي ج ١٣ ص ١٢ .

٣– انظر سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، الطبعة ١٦ ، ١٤٢٣ هـ ، دار الشروق / القاهرة ص ١١٨.

٤ انظرابن جرير ج ٢٦ ص ١٧٥ ، ابن عطية ج ١٥ ص ٤٢ ،أبوالسعود ج ٨ ص ٨٩ ، الشوكاني ج ٢٦ ص ١٣٦٩ ،الألوسي ج ٢٦ ص ٢٥٦ .

٥– انظر البقاعي ج ١٨ ص ١٨٧ ، أبوالسعود ج ٨ ص ٨٩ ، الشوكاني ج ٢٦ ص ١٣٦٣ ، الألوسي ج ٢٦ ص ٢٥٦ ، الطاهر ج ٢٦ ص ٦٣ .

٦– د.محمد أبوموسى :آل حميم ، الجاثية –الأحقاف ص ٥٨٦.

٧– انظر الرازي ج ٢٨ ص ٣٤ ، الألوسي ج ٢٦ ص ٢٥٧.

٨– انظر د.محمد أبوموسى ال حم ، الجاثية –الأحقاف ص ٥٨٦–٥٨٧.

٩ ابن عطية ج ١٥ ص ٤٣ .

القدرة. ولعل فعل الرؤية هنا (يريكم) يلفت إلى ضرورة اجتماع البصر والبصيرة في الوصول للحق ، ولذلك ختمت الآية بقوله { كي لم }.

ويحمل سؤال إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ ممى مي نج نحنخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ﴾ ﴿ بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ﴾ البقرة: ٢٦٠ عن إحياء الموتى بلفظ (كيف) تقريرًا لوقوعه؛ لأن السؤال عن الكيفية يتضمن التحقق من الوقوع [١] ، فحين نقول: كيف بنيت الدار؟ أوكيف صنعت الثوب؟ فالمعنى أن هناك دارًا مبنية نسأل عن كيفية بنائها ، وهناك ثوب مصنوع نسأل عن كيفيه صنعه ، وأمر الإحياء في يقين إبراهيم عليه السلام وفي سؤاله لربه محقق الوقوع والاستفهام فقط عن كيفية وقوعه للوصول لعين اليقين . وفي معنى ﴿ هج هم﴾ يقول ابن عطية: " أن يسكن فكره في الشيء المعتقد "[٢] ، ويبين أن الاطمئنان الاطمئنان " درجة زائدة على الإيمان وهي أن لا يبقى على النفس في يقينها مطلب يحركها إلى تحصيله " [٣]

وجاء تقرير إحياء الموتى ابتداء دون أن يسبقه أمثلة استدلال في قوله تعالى: ﴿ سج سح سخ سم صح صخ صم ضجضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم يس: ١٢ الذي جاء مثبتًا للحشر بعد ذكر أصول العقيدة من التوحيد والرسالة ، وفيه تبشير للمؤمنين وتهديد للمنكرين ؛ لما في الكتابة من معنى الجزاء على سبيل الكناية [٤] . ولا يخفى ما في استعمال ضمير العظمة من تعظيم قدرة الله تعالى في الإحياء ، وما في ضمير الفصل (نحن) من معنى القصر .

وقد حفلت (يسٓ) بذكر البعث في مواقع متعددة [٥] ، ومنها هذا الموضع ، ومنها من الباب الذي نحن فيه وهوإحياء الموتى: ﴿ كي لم لى لي ماممم نر نز نم نن نى ني ىٰ بر بز بم بن بى بي تج تح تخ تم ته ثم يس: ٧٨ – ٧٩

١– انظر ابن عطية ج٢ ص٣٠٣, القرطبي ج٣ ص٢٩٩ , أبوحيان ج٢ ص٣٠٨ , الألوسي ج٣ ص ٣٦ , الشعراوي الشعراوي ج٢ ص ١١٣٩.

٢ ابن عطية ج ١ ص ٣٥٣.

٣ ابن عطية ج١٦ ص٣٠١ (الفجر ٢٨).

٤– انظر أبوحيان ج ٧ص٣١٢ ، الألوسي ج٢٢ ص ٢١٩ ، الطاهر ج٢٢ ص ٣٥٥.

٥– آية ٢٢ ، آية ٣٢.

، فالآية عجبت من جحود هذا الكافر ومفاجأته لمن خلقه من نطفة بالخصومة [1] بدلالة إذا الفجائية ﴿ كا كل كم ثم ، وذكرت إنكاره الإحياء { نر نز نم نن ﴾. وفي قوله { نز نم نن } معنى الإنكار والاستحالة ، ولكن القرآن أجابه على طريقة أسلوب الحكيم " فأجيب جواب مَن هومتطلبٌ علمًا. فقيل له:{يز يم ين يى يي } ، فلذلك بني الجواب على فعل الإحياء مسندًا للمُحيي" [2] ، وإثبات قدرة من خلقه وخلق العظام على إعادة نشأتها . ويصح أن يكون الجواب " إبطالًا للنفي المراد من الاستفهام الإنكاري ... فالموصول هنا إيماء إلى وجه بناء الخبر وهو{ يز } أي يحييها؛ لأنه أنشأها أول مرة فهوقادر على إنشائها مرة ثانية كما أنشأها أول مرة " [3] وفي استعمال الاسم الموصول دلالة على معرفته بمضمون الصلة ومن ثم يصح قياس الإحياء الثاني على الإنشاء الأول ، ثم ختمت الآية بذكر كمال القدرة بكمال العلم في قوله تعالى { ئح ئخ ئم ئه } ، فذكر هاتين الصفتين يكون في سياقات تقرير البعث، كما قال الرازي؛ لأن بهما يحاج الخصم " ولذلك فإن الله تعالى حيث أقام الدلالة على البعث في كتابه ذكر معه كونه قادرًا عالمًا كقوله: ﴿ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه ثم يس: ٧٩، فقوله: { ير يز يم ين } بيان للقدرة وقوله: { ئح ئخ ئم ئه } بيان للعلم والله أعلم "[4] .

وأثبتت القدرة الإلهية على إحياء الموتى في الدنيا بوقوعها معجزة على يد نبي الله عيسى عليه السلام في قوله: ﴿ ئي ير بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئم آل عمران: ، وهوما نص عليه عيسى عليه السلام بقوله { لى لي ما } فهوإثبات لإحياء الله تعالى وحده للموتى ، لا دخل للنبي فيه بأمر ولا تكوين .

١- انظر البقاعي ج١٦ ص١٧٧ ، أبوالسعود ج٧ ص١٨١ ، الشوكاني ج٢٣ ص١٢٣٣ ، الألوسي ج٢٣ ص٧١.

٢- الطاهر بن عاشور ج٢٣ ص٧٥.

٣- الطاهر ج ٢٣ ص ٧٦ ، وانظر البقاعي ج ١٦ ص ١٧٩ .

٤- الرازي ج ٢٣ ص ١٠ تفسير اية الحج ٦.

القسم الثالث

آيات إحياء الأرض بعد موتها

(استدلال وامتنان)

جاءت آيات هذا القسم بذكر إحياء الأرض بعد موتها استدلالاً على البعث فكثيرًا " ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها "[1] ، مدمجة الاستدلال بالامتنان على العباد بهذه النعمة .

وهي على ضربين: ضرب دمج فيه الامتنان بإحياء الأرض بعد موتها في الاستدلال على الألوهية ، وفهم منه ضمنا الاستدلال على البعث ، وضرب صرح في هذا الدمج بالاستدلال على البعث ، فمن الأول : ﱡﭐ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز ﱠ البقرة: ١٦٤، الذي جاء عقب قوله: ﱡﭐ لج لح لخ ﱠ البقرة: ١٦٣؛ ليذكر دلائل على الألوهية والوحدانية ، ويدخل فيها الاستدلال على البعث ، وأدمج في هذه الدلائل ومنها إحياء الأرض بعد موتها الامتنان بكونها نعما [2].

وفي إحياء الأرض وموتها استعارتان: الأولى لعمارة الأرض وحركتها بالنبات والثمار، والثانية ليبسها وقحطها وجدوبتها ، يقول الرازي:" واعلم أن وصفه تعالى ذلك بالإحياء بعد الموت مجاز؛ لأن الحياة لا تصح إلا[3] على من يدرك ويصح أن يعلم ، وكذلك الموت ، إلا أن الجسم إذا صار حيًا حصل فيه أنواع من الحسن والنضرة والبهاء ، والنشور والنماء ، فأطلق لفظ الحياة على حصول هذه الأشياء ، وهذا من فصيح الكلام الذي على اختصاره يجمع المعاني الكثيرة " [4] وجعلها أبوحيان هنا في آية البقرة كناية فقال:" وكنى بالإحياء عن ظهور ما أودع فيها من النبات ، وبالموت عن استقرار ذلك فيها وعدم ظهوره. وهما كنايتان غريبتان؛ لأن ما برز منها بالمطر جعل تعالى فيه القوة الغاذية والنامية والمحركة ، وما لم يظهر فهوكامن فيها ، كأنه دفين فيها ، وهي له قبر" [5] ، وأغلب المفسرين على أنه

١ ابن كثير مج ٣ ج ٢٢ ص ٥١١ تفسير آية فاطر ٩.

٢ انظر ابن عطية ج ٢ ص ٣٢ وما بعدها ، القرطبي ج ٢ ص ١٩٢ وما بعدها ، البقاعي ج٢ ص ٢٨٧ ، الطاهر ج ٢ ص٧٦ وما بعدها .

٣ هي في الكتاب إلى والأصوب (إلا) .

٤ الرازي ج ٤ ص ١٩٨ .

٥ أبوحيان ج ١ ص ٦٣٩ .

استعارة [١]؛ بل إن في تشبيه أبي حيان نفسه للأرض الجدباء بالقبر إشارة إلى الاستعارة ، وهوالأشهر .

ورأى الطاهر في فعل الإحياء احتمال دلالتين مجازيتين: الأولى استعارة والثانية مجازًا فقال:" وأطلقت الحياة على تحرك القوى النامية من الأرض وهي قوة النبات استعارة ... وإذا جعلنا الحياة حقيقة في ظهور قوى النماء وجعلنا النبات يوصف بالحياة حقيقة وبالموت فقوله: ﱡﭐ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱠ مجاز عقلي والمراد إحياء ما تراد له الأرض وهوالنبات "[٢] .

وفي تنكير لفظ (آيات) إشارة إلى عظمتها [٣] . وفي وصف القوم بالعقل (لقوم يعقلون) ما يفيد أن استعمال أدنى درجات العقل في تأملها يهدي إلى وجود الله تعالى ووحدانيته لوضوح الدلالة [٤] ، وفي إثباته للقوم تنويه بشأنهم وأن العقل " سجية فيهم ، ومن مكملات قوميتهم ... وهوتعريض بأن الذين لم ينتفعوا بآيات ذلك ليست عقولهم براسخة ولا هي ملكات لهم " [٥] ، فهومدح لهم من جهة [٦] ، وتعريض بالمعرضين الذين لم لم يستعملوا عقولهم للوصول للحق من جهة أخرى [٧] .

ومن شواهد هذا الضرب قوله تعالى: ﱡﭐ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﱠ الجاثية: ٥، الذي شبهه بعض المفسرين بآية البقرة السابق ذكرها من بعض الوجوه[٨]. غير أن الآية سمت المطر رزقًا؛ لأنه سبب للرزق[٩] ، مع ما فيها من وضوح الدلالة على البعث[١٠] ، ولعل ذلك لما في التشابه بين خروج النبات وخروج الموتى للبعث .

١ انظر الرازي ج ٤ ص ١٩٨ ، وانظر ابن عطية ج ١٠ ص ٢٠٤ آية النحل ٦٥ ، الألوسي ج٢١ ص ٤٠ الروم ١٩ ، الشوكاني ج ٢٢ ص ١٢٠٦ فاطر ٩ ، الطاهر ج ٢٦ ص ٢٩٤ ق ١١.

٢ الطاهر ج ٢ ص ٨٣ .

٣ انظر أبوالسعود ج ١ ص ١٨٥ الألوسي ج ٢ص ٥٩٣.

٤ انظر أبوحيان ج ٥ ص ٣٥٧ في تفسير آيتي الرعد(٣-٤)، البقاعي ج ١٥ ص ٧٤ ، الطاهر ج ٢١ ص ٧٩ الروم ٢٤، البقاعي ج ١٨ ص ٦٧ آية الجاثية ٥.

٥ الطاهر ج ٢ ص ٨٩ .

٦ انظر البقاعي ج٢ ص ٢٩٨ .

٧ انظر أبوالسعود ج ١ ص ١٨٥ ، الألوسي ج ٢ ص ٥٩٣ ، الطاهر ج ٢ ص ٨٩ .

٨ انظر الرازي ج ٢٧ص ٢٥٩ ، ابن كثير ج ٢٥ ص ١٣٣ ، الطاهر ج ٢٥ ص ٣٢٧ .

٩ انظر الزمخشري ج ٣ ص ٥٠٩ ، البقاعي ج ١٨ ص ٦٦ ، أبوالسعود ج ٨ ص ٦٨ ، الألوسي ج ٢٥ ص ١٨٧ ، ، الطاهر ج ٢٥ص ٣٢٧ .

١٠ انظر البقاعي ج ١٨ ص ٦٦ .

ومن هنا فهودمج للاستدلال في الامتنان بهذه النعمة وتنبيه " على كونِه آيةً من جِهتَيْ القُدرةِ والرحمةِ "[1] .

ومثل آيتي البقرة والجاثية في ذكر أهمية العقل في الوصول لمعرفة الله تعالى وقدرته ، لوضوح الدلالة على البعث [2] قوله تعالى: ﱡ سد سخ سم صد صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غجغم فج فح فخ فم قح قم ﱠ الروم: ٢٤، الذي ذكر آية إحياء الأرض وفيها " عبرة ودلالة واضحة على المعاد " [3] ، ودمج للامتنان بنعمة المطر.

ومن التصريح بجهالة وعناد من لم يؤمن ويشكر آية إحياء الأرض بعد موتها جاء قوله تعالى: ﱡ غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح ﱠ العنكبوت: ٦٣، فهم يعرفون ويعترفون أن إحياء الأرض بعد موتها ، إنما هوشأن إلهي لا يستطيعه أحد من البشر ، ويدخل فيه البعث " لملازمة القدرة عليه القدرة على البعث " [4] ويؤمنون بما قبله من الآيات مثل خلق السموات والأرض والرزق ، إلا إنهم يعبدون آلهة لا تملك من أمرها شيئًا [5] ، ولذلك أمر تعالى نبيه بحمده على جهة التعجب منهم والتوبيخ لعقولهم: ﱡ لم لى مج مح مخ مم نج نح ﱠ العنكبوت: ٦٣، و(بل) إضراب انتقال من حمد الله إلى ذمهم [6] . وإسناد عدم العقل لأكثرهم دون جميعهم؛ لأن من عقلائهم من وضحت له تلك الحجج فآمن [7].

وتفترق هذه الآية عن شبيهاتها بزيادة حرف الجر (من) في قوله: ﱡ كخ كل كم ﱠ ، وذكر الخطيب الإسكافي في مقارنة هذه الآية بآيتي البقرة: ﱡ يم يى يي ذٰ ﱠ البقرة: ١٦٤، والجاثية: ﱡ ئز ئم ئن ئى ئي ﱠ الجاثية: ٥، أن التقرير في آية العنكبوت استلزم تحديد ظرف زمان الإنبات؛ لأن " التقرير يؤثر فيه من تحقيق الكلام مالا يؤثر في

---

١ أبوالسعود ج ٨ ص ٦٨ .

٢ انظر البقاعي ج ١٥ ص ٧٤ آية الروم ٢٤.

٣ ابن كثير ج ٢١ ص ٤٠٢ .

٤ البقاعي ج ١٤ ص ٤٧٣ ، وانظر الطاهر ج ٢٠ ص ٣٩٣ .

٥ انظر أبوحيان ج ٧ ص ١٥٤ ، ابن عطية ج ١٢ ص ٢٣٧-٢٣٨ ، ابن كثير ج ٢٠ ص ٣٩٣ ، البقاعي ج ١٤ ص٤٧٤ ، الألوسي ج ٢٠ ص ١٨ .

٦ انظر الطاهر ج ٢٠ ص ٣٠ .

٧ انظر الطاهر بن عاشور ج ٢٠ ص ٣٠ ، والبقاعي ج ١٤ ص ٤٧٤ .

غيره ... وقوله:{ كخ كل كم } تحقيق ، لأنه محدود بـ(من) وخص به التقرير لأنه من أماكنه ، وقوله في الآيتين الأخريين: { يم يى يي ذٰ رٰ } ليس فيه تقرير كما كانت الأولى ، وإن كان يؤدي معنى المحدود إلا أنه ليس له لفظه ، فاختلف الموضعان"[1] ، ويفهم من هذا أن الكافرين يقرون بقدرة الله تعالى على إحياء الأرض عقب موتها مباشرة ، والآية تقررهم بذلك . ودلالة حرف الجر (من) على إحياء الأرض عقب موتها مباشرة هوما يفهم من كلام ابن جماعة [2] ، فآية العنكبوت تشير إلى الإحياء عقب نزول المطر بخلاف الآيتين المشابهتين اللتين كان عدم ذكر الحرف فيهما للدلالة على كمال القدرة الإلهية على الإحياء ولوبعد حين .

وإذا كانت الآيات السابقة قد نوهت بشأن العقل في تدبر دلائل ألوهية الله ومنها إحياء الأرض بعد موتها؛ فقد جاء التنويه بشأن السمع في قوله تعالى: ﱡ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج ﱠ النحل: ٦٥، ضمن دلائل الألوهية والقدرة على البعث [3] التي جاءت في أول السورة مدمجًا فيها التذكير بنعمة إحياء الأرض [4] [4] " ، وفي مناسبة الآية لموقعها يقول الرازي: " اعلم أنا قد ذكرنا أن المقصود الأعظم من من هذا القرآن العظيم تقرير أصول أربعة : الإلهيات والنبوات والمعاد ، وإثبات القضاء والقدر ، والمقصود الأعظم من هذه الأصول الأربعة: تقرير الآلهيات ، فلهذا السبب كلما امتد الكلام في فصل من الفصول في وعيد الكفار؛ عاد إلى تقرير الآلهيات ، وقد ذكرنا في أول هذه السورة أنه تعالى لما أراد ذكر دلائل الالهيات؛ ابتدأ بالأجرام الفلكية ... فههنا في هذه الآية لما عاد إلى تقرير دلائل الإلهيات بدأ أولًا بذكر الفلكيات فقال: ﱡ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج ﱠ [5] ، ومع كونه عودة لذكر دلائل الألوهية إلا أن الكلام

---

١ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي : درة التنزيل وغرة التأويل ، ت ٤٢٠ هـ ، تحقيق د.مصطفى آيدن الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م ، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية ج٣ ص ١٠٢٤ –١٠٢٥، انظر الطاهر ج ٢١ ص ٢٩.

٢ ابن جماعة : كشف المعاني في متشابه المثاني ، ت ٧٣٣ هـ ، تحقيق د.محمد محمد داوود الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م ، دار المنار للنشر والتوزيع / مصر ص ١٦٣–١٦٤ ، انظر البقاعي ج ١٤ ص٤٧٣.

٣ انظر الرازي ج ٢٠ ص ٦٣ ، القرطبي ج ١٠ ص ١٢٢ ، البقاعي ج ١١ ص ١٩١ ، أبوالسعود ج ٥ ص ١٢٤ ، ، الشوكاني ج ١٤ ص ٧٨٩.

٤ انظر الطاهر ج ١٤ ص ١٩٧ .

٥ الرازي ج ٢٠ ص ٦٣ وانظر البقاعي ج ١١ ص ١٩١ ، الطاهر ج ١٤ ص ١٩٧ .

ابتدئ بلفظ الجلالة دون الإضمار؛ لقصد التنويه بالخبر إذ افتتح بهذا الاسم [1]، وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي لإفادة التخصيص ، وهوأمر يقر به المشركون ، وفي الإشارة إليها بالاسم الخاص بالبعيد (ذلك) وتنكير لفظ (آية) تنويه بعظمتها وعظيم النعمة فيها .

وذهب جمع من المفسرين إلى أن المراد بالسمع هوسماع التدبر[2]؛ لأنه أيضًا يهدي كالتفكر إلى الإيمان بالوحدانية ؛ لأن في آية إحياء الأرض" دلالة على البعث ، وعلى وحدانيته"[3]. وقيل : المراد بالسمع القبول [4] ، وأشار بعض المفسرين إلى أن الحكمة من ذكر السمع هي وضوح الدليل حيث لا يحتاج إلى تفكر ونظر بالقلب، وإنما يحتاج إلى أن يسمع بإصغاء [5] .

وذكر صاحب الظلال أن إيقاع فعل الإحياء على الأرض " يجعله حياة للأرض كلها على وجه الشمول لكل ما عليها ومن عليها " [6] ، ومن الممكن القياس عليه في المواضع المشابهة .

كما لمح بعض المفسرين تلاؤماً بين ذكر إحياء المطر للأرض بعد موتها وإحياء القرآن للقلوب الكافرة الميتة ، لمجيء قوله تعالى: ﴿ ﴾ النحل: ٦٤، قبله ، ولكنهم اختلفوا في هذا الارتباط ، فرأى ابن كثير أن المراد " كما جعل سبحانه القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها ، كذلك يحيي الأرض بعد موتها ، بما أنزله عليها من السماء من ماء " [7] ، ورأى أبوحيان في الآية عكس ما سبق، أي تشبيه إحياء القلوب القلوب بإحياء الأرض بعد موتها ، وفي ذلك يقول: " أشار بإحياء الأرض بعد موتها إلى إحياء القلوب بالقرآن كما قال تعالى: ﴿ ﴾ الأنعام: ١٢٢، فكما تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها ، فكذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتًا

١ انظر الطاهر بن عاشور ج ١٤ ص ١٩٨ .

٢ انظر الطبري ج ١٤ ص ٢٠٦ ، الزمخشري ج ٢ ص ٤١٦ ، القرطبي ج ١٠ ص ١٢٢ ، أبوحيان ج ١ ص ١٢٢ ، أبوالسعود ج ٥ ص ١٢٤ ، الطاهر ج ١٤ ص ١٩٨ .

٣ القرطبي ج ١٠ ص ١٢٢ .

٤ انظر الألوسي ج ١٤ ص ٥٥٩.

٥ انظر ابن عطية ج ١٠ ص ٢٠٤ ، البقاعي ج ١١ص ١٩٢ الألوسي ج ١٤ ص ٥٥٩.

٦ سيد قطب ج ٤ ص ٢١٨٠ .

٧ ابن كثير مج ٢ ج ١٤ ص ٥٢٧.

بالجهل"[1]، واقتران فعل الإحياء في أغلب آيات هذا القسم بالفاء (فأحيا ، فيحيي) فيه تتجلى مظاهر التعجيل بالرحمة المدمجة في مظاهر القدرة .

ومن الضرب الثاني لآيات هذا القسم وهوما صرحت فيه الآيات بالاستدلال على البعث ، قوله تعالى: ﴿ ٱ ﴾ ﴿ ﴾ الروم: ١٩؛ حيث نصت الآية على أن إحياء الأرض يشبه البعث الذي ذكرته الآية بلفظ الإخراج ؛ ولعل ذلك لمناسبة ذكر إخراج الحي من الميت والميت من الحي ، ويؤنس إليه قول الشوكاني " أي يحييها بالنبات بعد موتها بالليباس وهوشبيه بإخراج الحي من الميت "[2].

ومن التصريح بالاستدلال بإحياء الأرض على إحياء الموتى قوله تعالى: ﴿ ﴾ الروم: ٥٠ ، وجملة { } هي موضع طلب التدبر والاستبصار " أي: انظر إلى كيفية هذا الإحياء البديع للأرض "[3] . وصيغ فعل الإحياء ، وهومستعار للإنبات [4] بصيغة الفعل المضارع في قوله: { } والحكمة من ذلك ، ومن حذف الجار قبل لفظ الموت للدلالة على التجدد والدوام ، وفي هذا يقول البقاعي: "ولما كانت قدرته على تجديد إحيائها دائمة – على ما أشار إليه المضارع ودعا إليه مقصود السورة ، أشار إلى ذلك أيضًا بترك الجار فقال:{ } بانعدام ذلك "[5] ، أي ذلك الموت المستعار للقحط [6] . وفي الإشارة: { } في قوله:{ } تعظيم لشأن الله تعالى ، مع ما يفيده حرف (إن) من التوكيد ، وكل هذا مما يقتضيه مقام إنكار المنكرين للبعث .

ومن هذا الضرب قوله تعالى: ﴿ ﴾ فاطر: ٩، فمع ما أشارت إليه آيات السورة ضمنًا من الدلالة على البعث[7]؛ إلا أن الآية الآية هنا صرحت بالاستدلال بإحياء الأرض على إحياء الموتى للبعث { } ، وفي الحكمة من ذلك يقول الطاهر: " واختير من دلائل الوحدانية دلالة تجمع أسباب المطر؛

---

١ أبوحيان ج ٥ ص ٤٩٦ .

٢ الشوكاني ج ٢١ ص ١١٣٠ .

٣ الشوكاني ج ٢١ ص ١١٣٨ .

٤ انظر ابن عطية ج ١٢ ص ٢٥١ ، الطاهر ج ٢١ ص ١٢٣ .

٥ ج ١٥ ص ١٢٢ .

٦ انظر ابن عطية ج ١٢ ص ٢٦٩ ، الطاهر ج ٢١ ص ١٢٣ .

٧ انظر البقاعي ج ١٦ ص ٤ ، الرازي ج ٢٦ ص ٤ وانظر الآيات : ١، ٤،٥.

ليفضي من ذلك إلى تنظير إحياء الأموات بعد أحوال الفناء بآثار ذلك الصنع العجيب ، وأن الذي خلق وسائل إحياء الأرض قادر على خلق وسائل إحياء الذين ضمتهم[1] الأرض على سبيل الإدماج"[2] ، ولا يفترق الإحياءان في صحة القدرة الإلهية إلا في إلف الأول دون الثاني[3].

وعن أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر قال:" قلت يارسول الله: كيف يحيي الله الموتى ، قال: أما مررت بوادي قومك ممحلًا ، ثم تمر به خضرًا ، ثم تمر ممحلاً ثم تمر به خضرًا ؟ كذلك يحيي الله الموتى ، " [4].

ومن الآيات التي تدخل في الموضوع ذاته- إحياء الأرض- قوله تعالى: ئنٱ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نحنخ نم نى ني هج همهى هي يج يح يخ يم ئم فصلت: ٣٩، ومثله ذكر الاهتزاز والربووالإنبات في قوله تعالى: ئنٱ فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يىيي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تمته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضجضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ ئم الحج: ٥ - ٦ ، للإشارة إليه { ذلك}[5] في الاستدلال على إحياء الموتى .

ومما جاء فيه دمج الامتنان بآية إحياء الأرض مع الاستدلال على البعث [6] تصريحًا قوله تعالى: ئنٱ ني ىٰ ير يز يم ين يى ييى ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تجتح تخ تم ته ثمجح جم حج ئم ق: ٩ - ١١ ، فالآية وردت في الرد على من أنكروا البعث: ئنٱ هم هى هي يجيح يخ يم يى ئم ق: ٣، بذكر آيات ألوهيته وكمال قدرته التي يدخل فيها القدرة على البعث ، مبتدئة بخلق السموات والأرض، وإنزال المطر؛ لتصرح أن آية إحياء البلدة الميتة

١ هكذا في الكتاب (ضمنتهم) ولعلها (ضمتهم) لأنها أكثر ملاءمة للسياق .
٢ الطاهر ج ٢٢ ص ٢٦٧ .
٣ انظر أبوالسعود ج ٧ ص ١٤٥ .
٤ صحيح الجامع :الألباني ص ١٣٣٤.
٥ انظر ابن جرير ج ١٧ ص ١٤٧ ،الزمخشري ج ٣ ص ٦ ابن عطية ج ١١ ص ١٧٩ أبوحيان ج ٦ ص ٣٢٨ البقاعي ج ١٣ ص ١٣ أبوالسعود ج ٦ ص ٩٥ الألوسي ج ١٧ ص ١٥٣ الطاهر ج ١٧ ص ٢٠٤.
٦ انظر الطاهر ج ٢٦ ص ٢٨٩-٢٩١.

مع كونها نعمة فإنها تشبه الخروج للحشر { جم حج } ، مع ما يفيده اسم الإشارة المستعمل للبعيد { جم } من تعظيم المشار إليه المشبه به وهوإحياء الأرض [1].

وتتفق آية الفرقان: ﱡ كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ﱠ الفرقان: ٤٩ مع آية (ق) السابقة في إدماج الاستدلال مع الامتنان بنعم الله على عباده ومنها إحياء الارض بعد موتها ، كما تتفقان في إسناد الإحياء إلى البلدة الميتة ، إلا أنهما يفترقان في أمر آخر، فآية (ق) في التصريح بالاستدلال على البعث ولذلك جاء قوله:{ جم حج } ، في حين جاءت آية الفرقان في الاستدلال على الوحدانية والقدرة [2] ضمن مجموعة من آيات قدرة الله تعالى ووحدانيته ، ويدخل فيها ضمنًا إثبات القدرة على البعث لما سبق أن ذكر من ارتباطهما .

وتتفق الآيتان في أن " البلدة: الأرض. ووصفها بالحياة والموت مجازان للري والجفاف؛ لأن ري الأرض ينشأ عنه النبات وهويشبه الحي ، وجفاف الأرض يجفّ به النبات فيشبه الميّت" [3] ، ثم تختلف امتداداتهما فتذكر سورة (ق) قصص المكذبين مع أنبيائهم ، ثم الموت والحشر مما يلائم الخروج للبعث ، وتكمل (الفرقان) آيات الألوهية والوحدانية .

ومن الباب نفسه وهودمج الاستدلال على البعث مع الامتنان [4] ، مع اختلاف الترتيب جاء قوله تعالى: ﱡ ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم ﱠ يس: ٣٣ ، عقب ذكر البعث في قوله تعالى: ﱡ تم تن تى تي ثر ثز ﱠ يس: ٣٢، فدلت آية إحياء الأرض عليه وأدمجت الامتنان بعظيم النعمة . وذكر إخراج الحب والجنات ، وتفجير العيون؛ لأن فيه إشارة إلى الإحياء الكامل للأرض ومماثلة البعث له في أنه حياة كاملة " فكأنه قال: نحيي الموتى إحياء تامًا كما أحيينا الأرض إحياء تامًا "[5] .

---

١ انظر البقاعي ج ١٨ ص ٤١٣ ، الطاهر ج ٢٦ ص ٢٩٤.

٢ انظر الرازي ج٢٤ ص ٨٨ ن الطاهر ج١٩ ص ٤٦.

٣ الطاهر ج ١٩ ص ٤٨ آية الفرقان .

٤ انظر الرازي ج ٢٦ ص ٦٦.

٥ الرازي ج ٢٦ ص ٦٦.

وجاء إحياء الأرض بعد موتها في قوله تعالى: ﴿ فح فخ فم قح قم كج كحكخ كل كم لج لح لخ لم ﴾ الحديد: ١٧ ، مع كونه آية قدرة[1] وامتنان تمثيلاً لتليين القلوب المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ تج تح تخ ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم ﴾ الحديد: ١٦، بعد قسوتها ، والمراد كما ذهب جمع من المفسرين " كما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها ، كذلك نهدي الإنسان الضّالّ عن الحقّ إلى الحقّ ، فنوفِّقه ونسدّده للإيمان حتى يصير مؤمنًا من بعد كفره ، ومهتديًا من بعد ضلاله "[2] .

١ انظر الرازي ج ٢٩ ص ٢٣٠ ، الشوكاني ج ٢٧ ص ١٤٥٩.

٢ ابن جرير ج ٢٧ ص ١٣٢، وانظر الزمخشري ج٤ ص٦٤ ، ابن عطية ج١٥ ص ٤١٧، الرازي ج٢٩ ص٢٣٠ ، القرطبي ج ١٧ ص ٢٥٢، البيضاوي ج ٤ ص٤٥٣ ، أبوحيان ج ٨ ص ٢٢٢ ، ابن كثير مج ٤ ج ٢٧ ص ٢٨٠ ، البقاعي ج١٩ ص ٢٨١ ، أبوالسعود ج ٨ ص ٢٠٩ ، الشوكاني ج ٢٧ ص١٤٥٩ ، الألوسي ج ٢٧ ص٢٤٢ ، الطاهر بن عاشور ج ٢٧ ص٣٩٣ .

الفصل الثاني

النسق التركيبي

أولًا: صياغة جمل الإحياء والإماتة

جاءت آيات هذا القسم لبيان مظهرين من مظاهر انفراد الله تعالى بالألوهية وهما الإحياء والإماتة، وهوما ذكره الزمخشري حين قال:" وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية؛ لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره "[1]

وبالتأمل في صياغة هذه الحقيقة نجدها وردت في تراكيب مختلفة تحمل – مع وحدة الغرض وهواختصاص الله تعالى بالإحياء والإماتة– فروقًا دلالية ، فمن تلك التراكيب وردت بدلًا في جمل فعلية فعلها مضارع ، مستقلة تارة ، أوجزءًا من جمل اسمية تارة أخرى ، إما خبرًا للمسند إليه ، أوصلة للموصول ، أوخبرًا لأن وإن . وجاءت جملاً فعلية فعلها ماض.

فمما جاءت فيه بدلًا في جملة فعلية فعلها مضارع في جمل مستقلة آية الأعراف: ئنآ ىٰ ير تج تح تخ تم الأعراف: ١٥٨، وآية التوبة: ئنآ ين يى يي نج نح نخ نم التوبة: ١١٦، وآية الدخان: ئنآ تز تم تن تى تي ثر ثز ثم الدخان: ٨، وآية الحديد: ئنآ ضح ضخ ضم طح ظم عج عم الحديد: ٢.

ووردت جملتا الإحياء والإماتة في هذه الآيات عقب إسناد ملكية السموات والأرض وربوبيتهما له تعالى؛ لأنهما " مما يشتمل عليه معنى ملك السموات والأرض؛ لأنهما من أحوال ما عليهما " [2] ، فهما بدل اشتمال من ذكر الألوهية والملك ، ولعل لهذا السبب لم يقتض المقام ذكر المسند إليه ، يقول الشوكاني في آية الأعراف " وجملة { ٱ ىٰ ير تج تح [3] } بدل من الصلة مقرر لمضمونها مبين لها؛ لأن من ملك السموات والأرض وما فيهما هوالإله على الحقيقة ، وهكذا من كان يحيى ويميت فهوالمستحق لتفردّه بالربوبية ونفى الشركاء عنه "[4] .

---

١ الزمخشري ج ٢ ص ١٢٣ تفسير آية الأعراف .١٥٨ .

٢ الطاهر ج ٢٧ ص ٣٥٩.

٣هي في النص (الله) وصريح الآية (هو).

٤ الشوكاني ج ٩ ص ٥٠٥ .

ومع القول بحذف المسند إليه في الجمل التي جاءت بدلاً عقب ذكر ملك الله تعالى للسموات والأرض ورد ذكر المسند إليه في يونس: ﴿ بز بم بن ﴾ يونس: ٥٦، بعد قوله: ﴿ يي يى ذٰ رٰ ىٰ ﴾ ﴿ نر نز نم نن نى ني ﴾ يونس: ٥٥ ؛ ولعل ذلك لأن مجي جملة { ﴿ نر نز نم نن نى ني ﴾ قد فصلت بينهما فناسب التهيئة لمعنى الإحياء والإماتة بذكر المسند إليه.

ومثله في ذكر المسند إليه وتقدمه على المسند الفعلي ما ورد في آل عمران: ﴿ ٱ ﴾ آل عمران: ١٥٦، والآية رد على زعم الكافرين أن عدم خروج إخوانهم للجهاد والتجارة سيبقيهم أحياء وعلى هذا فهي جملة مستأنفة ، وقيل إنها حالية ، وجاءت الجملة مفيدة للقصر لاقتضاء مقام إنكار المنكرين أن المؤثر الحقيقي في الإحياء والإماتة لله تعالى وحده ومثله أيضا في تقدم المسند إليه على الخبر الفعلي قوله تعالى: ﴿ كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ﴾ الجاثية: ٢٦، الذي جاء للرد على ادعاء المنكرين للبعث أن الدهر يهلكهم ، وعلى طلبهم رجوع آبائهم للدنيا ، فناسب وروده باسلوب القصر .

وتلتقي دلالة الجملة الاسمية على الثبات والدوام مع دلالة صيغة المضارع لفعلي الإحياء والإماتة على التجدد والاستمرار في إثبات دوام واستمرار هذه الحقيقة الإلهية.

وقريب منها في التركيب مجيء فعلي الإحياء والإماتة فيه في جمل اسمية ، صلة للموصول مما دل على القصر عن طريق تعريف الطرفين ، ومن ذلك آية الحج: ﴿ ٱ ﴾ ﴿ نرنز نم الحج: ٦٦، دل الموصول على كون الصلة أمرًا معروفًا لدى السامع لا ينكره إلا معاند ومكابر، ومثله ماجاء في سورة المؤمنون: ﴿ ثم ثن ثى ثي نم المؤمنون: ٨٠، المعطوفة على آيات قدرة الله تعالى ، فالآية من عطف الغرض على الغرض، ولعل هذا ما اقتضى التصريح بذكر المسند إليه؛ لأن السياق انتقل من ذكر الكافرين ومصيرهم إلى ذكر آيات تمام قدرته .

وقريب منه في اسمية الجملة وكون الإحياء والإماتة صلة الموصول المفيد للقصر بتعريف الطرفين ، غير أنه مبني على الاستئناف قوله تعالى: ﴿ ٱ ﴾ ﴿ نر نزنم غافر: ٦٨، وذُكِر المسند إليه هنا ؛لأن الجملة " استئناف خامس "[1] لدلائل ألوهية الله تعالى وكمال .قدرته ، واستعمل الموصول لمعرفتهم بصلته ، ومثله في الاستئناف وورود الفعلين في جملة اسمية

١ الطاهر ج ٢٤ ص ١٩٩.

صلة للموصول المسند للفظ الجلالة مما يفيد القصر قوله تعالى: ﴿ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم﴾ الروم: ٤٠؛ لاستئناف الجملة معنى جديدًا عما قبلها ، وهوما أشار إليه الطاهر حين قال: " هذا الاستئناف الثاني من الأربعة التي أقيمت عليها دلائل انفراد الله تعالى بالتصرف في الناس وإبطال ما زعموه من الإشراك في الإلهية " [1]. وقد أشار في أول هذه الاستئنافات إلى الحكمة من ابتداء الجمل بلفظ الجلالة وهوإسناد أخبار عن حقائق لا قِبَل لهم بدحضها [2].

ومثله قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿بم بن بى بي﴾ البقرة: ٢٥٨ ، وقد سبق ذكر دلالة الموصول على معرفة النمروذ بأن الله تعالى هوالمحيي المميت على الحقيقة ، وما كان ادعاؤه القدرة عليهما إلا من قبيل الجدل والمكابرة .

وجاء فعلا الإحياء والإماتة أيضًا في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿كج كح كخ كل﴾ الشعراء: ٨١، صلة للموصول متلائمًا مع معرفة واعتراف سيدنا إبراهيم عليه السلام بما نسبه لربه .

وإذا كانت جملة الإحياء والإماتة قد وردت فيما سبق دون استعمال أدوات التوكيد ، فقد وردت خبرًا للمسند إليه المؤكد بـ (أن وإن) ، مع ضمير الفصل المفيد للقصر في عدة مواضع منها، قوله تعالى: ﴿ئز ئم ئن ئى﴾ ق: ٤٣، وقوله تعالى:﴿لم لى لي ما مم نر﴾ الحجر:٢٣، وقوله تعالى:﴿كم لم نم نه﴾ النجم: ٤٤، ويأتي التوكيد مع القصر في الآيات الثلاث لتحقيق إثبات الفعلين لله تعالى وحده . ولعل كل هذه التوكيدات ملائمة لعظمة شأن البعث الذي تصفه ، وهوما سماه البقاعي: الإحياء الأكبر من جهة ، ولإنكار المنكرين له .

وجاء غالب الأفعال في هذا القسم من البحث مضارعًا ، واختلفت دلالة بعضها عن بعض حسب السياق ففي آية البقرة: ﴿ضم ضج ضح ضخ ضم طح﴾ البقرة: ٢٨، دل المضارع على أصله من الاستقبال [3] ، وذكر البقاعي دلالة تجدد الحدوث [1] في قوله تعالى: ﴿كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن﴾ الجاثية: ٢٦ .

---

١ الطاهر ج ٢١ ص ١٠٧.

٢ انظر الطاهر ج ٢١ ص ٦١.

٣ ومثله الشعراء ٨١ ، الحج ٦٦ ، الروم ٤٠.

وقليل من الآيات جاء ماضيًا نحوقوله تعالى: ﭐ خج خم سج سح سخ سم صح ﭑ البقرة: ٢٨، حيث ورد لفظ الموت خبرًا لفعل الكون الناسخ إشارة إلى ما كان عليه الإنسان من العدم { أمواتًا } فأخرجه الله تعالى إلى الحياة بفعل الإحياء { فأحياكم } فالكينونة في الموت عدم ، والإحياء وجود عبر عن تحقق وقوعه فعل {أحياكم } الماضي . أما قوله: { موتوا } في آية البقرة: ﭐ ىٰ ير ئج ئح ئخ ئم ئه ﭑ البقرة: ٢٤٣، فيحكي فعل الأمر (موتوا) سهولة وقوع الحدث وهوالإماتة من الإله القادر ، حيث ذكر المفسرون أنهم ماتوا مباشرة بقول كن فيكون . ويحكي الماضي (أحياهم) حكاية حصول القصة في الزمن الماضي[٢] . وفي آية النجم: ﭐ كم لم نم نه نم ﭑ النجم: ٤٤، لعل المراد كما سبق تحقق الوقوع.

ثانيًا:صياغة جمل إحياء الموتى:

وأول ما يلحظ في هذا التركيب إيقاع فعل الإحياء على اسم الموتى . ومع ما في كون الموتى مفعولًا لفعل الإحياء من تأكيد تحقق وقوعه ، إلا أن سياقاته جاءت تحمل وسائل توكيد أخرى ، ولعل الحكمة من ذلك شدة إنكار الكفار للبعث أكثر من أي جانب من جوانب الألوهية ، وهوما ذكره أبوالسعود [٣].

ويرى د. أبوموسى في التوكيد في نحوقوله تعالى: ﭐ لخ لم لى لي مج مح مخ مم ﭑ الحج: ٦، أنه جاء لأهمية المعنى الذي ورد فيه حيث يقول: " وقد يأتي التوكيد في الجمل التي كأنها نتائج لمقدمات فيلفت التوكيد إلى هذه الجمل وكأنها هي المقصودة الأهم ، وموضع العناية ... وهي كما ترى تتضمن أصولًا مهمة في الشرائع كلها "[٤]

ومن أساليب التوكيد التي يخاطب بها المنكرون للبعث استعمال (إن) مع اللام المزحلقة في نحوقوله: ﭐ هج هم ﭑ ، واستعمال ضمير الفصل وهومن طرق القصر: ﭐ سج سح سخ سم ﭑ يس: ١٢.

---

١ انظر البقاعي ج ١٨ ص ١٠١، وانظر البقاعي ج ١٩ ص ٢٥٤ الحديد آية ٢، وج ١٨ ص ٤٤١ق آية ٤٣، اانظر لطاهر ج ٢٥ ص ٢٨٤ الدخان ٨ ، ق ٤٣ .

٢ ومثله البقرة ٥٦ ، ٢٥٩، غافر ١١ ، الحج ٦٦ ،الروم ٤٠.

٣ انظر أبوالسعود ج ٦ ص ٩٥.

٤ د.أبوموسى : خصائص التراكيب ص ٩٨-١٠٠.

٥ الروم ٥٠ ، فصلت ٣٩.

ومن ذلك اقتران خبر جملة الاستفهام الإنكاري المتصل بالنفي (أليس ، أولم يروا) بالباء المؤكدة لمعنى الإنكار (بقادر) مما يفيد تأكيد الإثبات وتقرير قدرة الله تعالى على هذا الإحياء ، في قوله: ﴿ ثن ثم ثز ثر تي تى تن تم تز تر بي بى بن بم بز بر يي يى ين يم يز ير﴾ القيامة: ٤٠، وقوله تعالى: ﴿ ثن ثم ثز ثر تي تى تن تم تز تر بي بى بن بم بز بر يي يى ين يم يز ير﴾ الأحقاف: ٣٣.

وفي معنى التوكيد في حرف الجر (الباء) يقول البقاعي:" وأكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز (أن) فقال تعالى: { تم } أي قدرة عظيمة تامة بليغة "[1].

وقريب منه في دلالة التوكيد دون استعمال أدواته الخاصة الرد على من سأل عن إحياء العظام وهي رميم في آية يس باستعمال الاسم الموصول: ﴿ ثن ثم ثز ثر تي تى تن تم تز تر بي بى بن بم بز بر يي يى ين يم يز ير﴾ يس: ٧٩، مما يفيد معرفة السائل بفحوى الجواب حيث لا يستطيع ادعاء أن غير الله تعالى قد أنشا أول مرة .

وجاء اسم الإشارة (ذلك) المشار به إلى الرؤية البصرية لإحياء قتيل بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿ ثن ثم ثز ثر تي تى تن تم تز تر بي بى بن بم بز بر يي يى ين يم يز ير﴾ البقرة: ٧٣، يحمل دلالة التوكيد التي لا يمكن الشك فيها .

أما صيغ الأفعال هنا فجاءت كلها مضارعة ، ويذهب البقاعي في دلالتها إلى القول بالتجدد والاستمرار [2] " كلهم حسًا بالبعث ، ومعنى بالإنقاذ إذا أردنا من ظلم الجهل " [3] مما يفهم منه تجدد إخراج الناس من الضلال إلى الهداية على محمل الاستعارة ، وقد يحتمل المعنى تجدد إحياء النطفة والأرض الميتة ، وإلى هذا المعنى يشير أبوالسعود في آية الحج ، حين يقول:" ﴿ ثن مح مخ ممنم الحج: ٦، أي شأنُه وعادته إحياؤُها ، وحاصلُه أنَّه تعالى قادرٌ على إحيائها بَدْءًا وإعادةً ،وإلاَّ لما أحيا النُّطفةَ والأرضَ الميتةَ مرارًا بعد مرارٍ"[4].

ثالثا:صياغة جمل إحياء الأرض بعد موتها:

وأول ما يلفت النظر في تركيب جمل السياق شبهه بسابقه من حيث إيقاع فعل الإحياء على اسم (الأرض ، بلدة) متعلق بظرف (بعد موتها) أوصفة (بلدة ميتًا).

---

١ البقاعي ج ١٨ ص ١٨٧.

٢ انظر البقاعي ج ١٦ ص ١٠١ آية يس ١٢ ، ج ١٨ ص ١٨٧ آية الأحقاف ٣٣ ، ج ٢١ ص ١١٨القيامة ٤٠.

٣ البقاعي ج ١٦ ص ١٠١.

٤– أبوالسعود ج ٦ ص ٩٥ آية الحج ٦.

ويختلف هذا التركيب عن سابقه في إسناد الإحياء لشيء ظاهر أمامهم ؛ وهوالأرض بعد جدبها وقحطها ، ولعل هذا أقرب لاحتمال إيمانهم بالله تعالى ؛ لورود الإحياء بدليله المرئي الذي لا يستطيعون إنكاره ، واستمالتهم بذكر النعمة ضمن هذا الدليل ، وهوأقرب وأوضح طريق لإثبات إمكان البعث إلى عقولهم .

وجاء غالب آيات هذا القسم يربط بين ماء المطر وإحياء الأرض بعد موتها [١]، وفي ذكر المطر بوصفه إنزال الله تعالى الماء من السماء " من استحضار الحالة ما ليس في نحوكلمة المطر والغيث"[٢]، لما في إسناد الإنزال إلى الله تعالى من دلالة على الألوهية وكمال القدرة[٣]. أما اختصاص ماء المطر للإحياء؛ فلكونه "صالحًا بكل أرض وبكل نبات على اختلاف طباع الأرضين والمنابت " [٤] ، ولعل في التصريح بذكره تنويه بشأنه في إحياء الأرض يناسب مقام الامتنان المدمج في الاستدلال .

ومن الملحوظ مجيء فعل إحياء الأرض في عدة سياقات مسندا لضمير العظمة[٥]، وفيه مزيد تفخيم لهذه القدرة العظيمة ، كما يلحظ مجيء نون العظمة في الأفعال المجاورة لفعل الإحياء في هذه الآيات .

ويفهم من كلام البقاعي عن ضمير العظمة في الأفعال في سورة (الفرقان) أنه أرجع الحكمة من وروده في الأفعال التي سبقت الآية وتلتها إلى عظمة مرتبتها[٦] ، لكنه لم لم يشر إلى الحكمة في فعل نحيي ، ومثله أبوالسعود الذي قال عن الحكمة من اتصال فعل أنزلنا بنون العظمة ، لإبراز كمال العناية بالفعل [٧] . وذكر البقاعي الحكمة في آية

١- البقرة ١٦٤ ، الجاثية ٥ ، الروم ٢٤ ، العنكبوت ٦٣ ، النحل ٦٥ ، الروم ٥٠ ، فاطر ٩ ، الحج ٥ ، فصلت ٣٩ ، ق ٩-١٠، الفرقان ٤٨-٤٩ .

٢- الطاهر ج ٢ ص ١٨ آية البقرة ١٦٤ .

٣- انظر المصدر السابق .

٤- الطاهر ج ١٩ ص ٤٨ آية الفرقان ٤٩ .

٥- الفرقان ٤٩ ،فاطر ٩ ، يس ٣٣ ، ق١١ .

٦ انظر البقاعي ج ١٣ ص ٣٩٨ آية ٤٦ ، ج ١٣ ص ٤٠١ آية ٤٨ ، انظر البقاعي ج ١٣ ص ٤٠٢.

٧ انظر أبوالسعود ج ٦ ص ٢٢٤ .

يس قبل قوله: ﭐﱡﱠ في ﱡﱠ وبعده وأعادها إلى إبراز مظهر العظمة [1] مما يفهم منه عظمة آية إحياء الأرض الميتة.

وأشار الطاهر إلى الحكمة من إسناد الأفعال لضمير المتكلم إلى سياق الامتنان في الأفعال التي سبقت فعل الإحياء [2] ، ولم يذكر الحكمة من كون فاعل الإحياء ضميرًا للعظمة وأما آية فاطر فقد سبق ذكر قول الزمخشري عن الالتفات لضمير المتكلم أنه" أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه " [3] ، فالحكمة تعود إلى اختصاص الله تعالى بهذه الأمور ، وهوما ذكره أبوالسعود من تكميل " المُماثلةِ بين إحياءِ الأرضِ وبين البعثِ الذي شُبِّه به بقوله تعالى: ﭐﱡﱠ في كمال الاختصاصِ بالقُدرةِ الرَّبانيةِ " [4] .

ومن الملحوظ عدم إسناد أفعال إحياء الأرض لضمير العظمة في أغلب السياقات المشابهة من الاستدلال على البعث ، ولعل ذلك لأن أغلبها يعود للفظ الجلالة الذي قال عنه البقاعي إنه أعظم من صيغة العظمة [5].

وجاءت أغلب جمل إحياء الأرض بعد موتها غير مؤكدة ، وهذا ملائم لمعرفتهم واعترافهم بهذه الآية من آيات الله تعالى كما جاء في قوله تعالى: ﭐﱡﱠ العنكبوت: ٦٣، لكنها في عدة آيات جاءت تحمل شيئا من التوكيد نحودلالة أساليب القصر في قوله تعالى: ﭐﱡﱠ النحل: ٦٥، وقوله تعالى: ﭐﱡﱠ الحديد: ، وقوله تعالى:ﭐﱡﱠ فاطر: ٩.

أما آية النحل فأفادت قصر نفي الشركة مع الله تعالى في الإحياء ، ولعل ذلك لأن المقام " مقام تحقيق الانفراد بالخلق والإنعام دون غيره من شركائهم؛ لأن المشركين يقرون بأن الله فاعل هذه الأشياء " [6] .

---

١ انظر البقاعي ج ١٦ ص ١٢٢، ١٢٣ ، البقاعي ج ١٨ ص ٤١٣آية ق ١١.

٢ انظر الطاهر ج ١٩ ص ٤٢.

٣ الزمخشري ج ٣ ص ٣٠٢.

٤ أبوالسعود ج ٧ ص ١٤٥.

٥ انظر البقاعي ج ١٥ ص ٥٨ آية الروم ١٧ .

٦ الطاهر ج ١٤ ص ١٩٨.

وفي آية الحديد يتجاور التوكيد بإن مع القصر بتقديم المسند إليه على المسند الفعلي ، ولعل ذلك لبث اليقين في قلوب المؤمنين الذين جاءت الآية تطمئنهم إلى قدرة الله تعالى على إحياء القلوب بعد موتها كما يعيد الحياة للأرض التي يشاهدون موتها مرة أخرى .

وفي آية فاطر دل القصر بتعريف الطرفين (الله الذي) في الآية على نفي أن يقدر أحد غيره سبحانه على ذلك ؛ حتى لا يظن ظان أن لغيره سبحانه من الطبيعة ونحوها تأثيرًا في إرسال الرياح وإحياء الأرض بعد موتها [1] ، ودل الموصول على معرفتهم بمضمون الصلة.

وصرحت بعض الآيات بأداة التوكيد نحوقوله تعالى: ﱡﭐ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ مج مح مخ مم.....ﱠ البقرة: ١٦٤، المفتتحة بإن المؤكدة ، وآية الجاثية: ﱡﭐ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ بز بم ﲋ ﲌ ﱠ الجاثية: ٥ ، في قول من نصب لفظ (آيات) [2] لعطفها على قوله تعالى: ﱡﭐ مي نج نح نخ ﲍ ﲎ ﱠ الجاثية: ٣.

أما آية البقرة فلم أجد – على حد علمي– من تعرض للحكمة من التوكيد فيها سوى الطاهر الذي ذكر احتمال كونها للاهتمام أوللرد على إنكار منكر فقال: " موقع هاته الآية عقب سابقتها موقع الحجة من الدعوى ... فإن هنا لمجرد الاهتمام بالخبر لِلَفْت الأنظار إليه ، ويحتمل أنهم نُزلوا منزلة من ينكر أن يكون في ذلك آيات (لقوم يعقلون) لأنهم لم يجروا على ما تدل عليه تلك الآيات " [3].

وأما آية الجاثية فذكر أبوالسعود قول من قال إن الآية جواب القسم { حم } ، وعادة الجواب التوكيد ، في حين ذهب الطاهر إلى أن الحكمة من التوكيد: تنزيل الكافرين منزلة المنكرين مع عدم إنكارهم للأمر فقال " وأكد بـ { إنَّ } وإن كان المخاطبون غير منكريه لتنزيلهم منزلة المنكر لذلك بسبب عدم انتفاعهم بما في هذه الكائنات من دلالة على وحدانية الله تعالى " [4] ، وجملة الشاهد من الآية: ﱡ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ

١ انظر البقاعي ج ١٦ ص ١٦.

٢ انظر على سبيل المثال الزمخشري ج ٣ ص ٥٠٨ ، ابن عطية ج ١٤ ص ٣٠٤ ، البقاعي ج ١٨ ص ٦٧ أبوالسعود ج ٨ ص ٦٨ .

٣ الطاهر ج ٢ ص ٧٦.

٤ الطاهر ج ٢٥ ص ٣٢٦.

ئم الجاثية: ٥، معطوفة في أحد القولين على آية التوكيد: ئنآ مي نج نح نخ نم ىن ئم الجاثية: ٣؛ فيصدق عليها ما يصدق على آية التوكيد .

أما صياغة الأفعال ، فجاء بعضها ماضيا؛ كقوله تعالى: ئنآ يم يى يي ذٰ رٰ ئم[1] ، وجاء بعضها مضارعًا نحوقوله تعالى: ئنآ ئز ئم ئن ئى[2] ئم.

وذهب البقاعي في دلالة المضارع في قوله تعالى: ئنآ مح مخ مم نج نح ئم الروم: ٥٠، إلى التجدد والدوام [3] ، في حين ذهب الطاهر إلى القول بإفادة المضارع لاستحضار صورة هذا الإحياء العجيبة في الذهن [4] ولعل استعمال المضارع في آيات الروم الثلاثة يفيد استحضار الصورة في الذهن لآيات قدرة الله تعالى ، ولعل في استحضار الصورة في الذهن ارتباطًا آخر يعود لتوكيد الأمر الغيبي في السورة وهوانتصار الروم على الفرس .

أما آية الفرقان فلم أجد أحدًا من المفسرين الذين رجعت إليهم في البحث قد أشار إلى الحكمة من استعمال صيغة المضارع لفعل الإحياء ، ولعل من الممكن القول فيه بأنه مع دلالته على زمن وقوعه عقب نزول المطر لترتبه عليه ، فهويفيد استحضار صورة الإحياء العجيبة كما ذكر الطاهر في آيتي الروم السابق ذكرها .

أما الأفعال الماضية في بقية السياقات فلعل في دلالة الماضي فيها تحقيقًا لوقوعه بحصوله أمام أعينهم واستدلالًا به على البعث ، فالمقام لم يكن يستدعي استحضار الصورة في الذهن ، أودلالة التجدد .

الحقيقة والمجاز في آيات الإحياء والإماتة :

تبين من دراسة سياقات فعلي الإحياء والإماتة في الفصل الأول أن المراد بهما الإحياء والإماتة الحقيقيان للإنسان والحيوان والنبات ، والمجازيان للقلوب والإيمان ونحوها، وفي ذكر إحياء الموتى كان المراد على الأرجح الحقيقة بإحياء الناس للبعث وهوموطن إنكار الكفار.

---

١ انظر: البقرة ١٦٤، النحل ٦٥ ، العنكبوت ٦٣ ، الجاثية ٥، فاطر ٩ ،فصلت ٣٩ ،يس ٣٣ ، ق ١١ .

٢ انظر الروم ١٩، ٢٤ ، ٥٠ ، الفرقان ٤٩ ، الحديد ١٧ .

٣ انظر البقاعي ج ١٥ ص ١٢٢ , الروم ٥٠ ، وانظر ج ١٥ ص ٧٣,٧٤ , الروم ٢٤ ، ج ١٩ ص ٢٨١ الحديد ١٧.

٤ انظر الطاهر ج ٢١ ص ٦٨ ، آية الروم ١٩وانظر ج ٢١ ص ١٢٣ الروم ٥٠ .

وذكر المفسرون أن إحياء الأرض بعد موتها على سبيل الاستعارة بتشبيه جدب الأرض بالميت واهتزازها بالنبات والأشجار والثمار بالحي . وذكر الطاهر احتمال أن يكون من قبيل المجاز العقلي بإسناد الإحياء إلى مكانه وهي الأرض ، وقد يدخل في الحقيقة إحياء الأرض إذا أخذنا وجود حياة في كل شيء حتى الجمادات كما سبق أن ذكر . وذكروا أيضًا أن قوله تعالى: ﴿ فح فخ فم قح قم كج كحكخ كل كم لج لح لخ ﴾ الحديد: ١٧، تمثيل لتليين القلوب القاسية فهومن قبيل الاستعارة التمثيلية؛ حيث استعير حال إمكان إحياء الأرض بعد موتها لحال إصلاح القلوب بعد قسوتها بقدرة الله تعالى ، وهي من المجاز المركب في حال جعل إحياء الأرض استعارة لظهور زرعها ونباتها ، فالمجاز الأول يتمثل في هذه الاستعارة ، والثاني استعارة هذه الهيئة لحال تليين القلوب بعد قسوتها .

وقريب منها قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج ﴾ النحل: ٦٥؛ حيث لمح بعض المفسرين – كما سبق– تلاؤمًا بين ذكر إحياء المطر للأرض بعد موتها وإحياء القرآن للقلوب الكافرة ، فكما يحيي الله الأرض بعد موتها يحيي القلوب بالقرآن ، فهناك ارتباط بين المطر والقرآن في الإحياء، واختلفوا في ترتيب المشبه والمشبه به ، حيث جعل ابن كثير المشبه حياة القلوب الميتة بكفرها، والمشبه به إحياء الأرض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء . ورأى فيها أبوحيان عكس ذلك فرأى أنه أشار بإحياء الأرض بعد موتها إلى إحياء القلوب بالقرآن " فكما تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها ، كذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتًا بالجهل " [1]

وربط ابن كثير – كما سبق أن ذكر – الإحياء في آية يس ﴿ سج سح سخ سم ﴾ بإحياء القلوب حين قال " وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار ، الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة ، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق ؛ كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب { ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الحديد: ١٧] " [2] ، والإحياء والموت للقلوب من قبيل الاستعارة كما لا يخفى.

---

١ أبوحيان ج ٥ ص ٤٩١.

٢ ابن كثير ج ٢٢ ص ٥٢٦.

ومما جاء فيه لفظ الإحياء والإماتة استعارة قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ الأنعام: ١٢٢، يقول أبوحيان: " والموت والحياة والنور والظلمة مجاز ، فالظلمة مجاز عن الكفر ، والنور مجاز عن الإيمان ، والموت مجاز عن الكفر " [١] فاستعير الموت للكفر بجامع عدم نفع النفس؛ لأن الميت لا يستطيع أن ينفع نفسه والكافر كذلك ، واستعيرت الحياة للإيمان بجامع النفع للنفس بإنقاذها من موارد الهلاك . وفي السياق استعير النور للهداية بجامع الوصول للهدف ويدخل فيه انشراح الصدر والارتياح ، واستعيرت الظلمات للكفر بجامع التخبط والحيرة والضلال ، ويدخل فيه الضيق والوحشة ، وأفاد قوله: { يِي ئج ئحئخ } أنه " لا يهتدي إلى منفذ ولا مَخْلص مما هوفيه " [٢] . ويقابل هذا الكافر المنغمس في الكفر المؤمن الذي يمشي بنوره في الناس فينفعهم [٣] ، ويؤكد الاستفهام الإنكاري [٤] في قوله: { أَ لِي ما مم نر } نفي تساوي هذين المثلين ، مثل المؤمن الحي الذي يسير مهتديًا هاديًا ، والكافر المنغمس في الظلمات ليس بخارج منها ، لا ينفع نفسه ولا غيره . وذكر بعض المفسرين في تقدير العطف المحذوف قبل الواو{ أومن } عدة تقديرات منها أن المراد " أفطاعة هذا الذي هديناه للحقّ وبصرناه الرشاد كطاعة من مثله مثل من هوفي الظلمات متردّد لا يعرف المخرج منها في دعاء هذا إلى تحريم ما حرّم الله وتحليل ما أحلّ وتحليل هذا ما حرّم الله وتحريمه ما أحلّ ؟ " [٥].

واختلف المفسرون في هذين المثلين المنفي تساويهما هل هما من قبيل التشبيه أوالاستعارة ، فمال الإمام أبوالسعود إلى القول بأنهما من قبيل الاستعارة التمثيلية [٦] ، لعدم وجود المشبهين في الصورتين ، صورة من كان ميتًا فأحيي التي استعيرت للمؤمن الذي هداه الله للإيمان ، وصورة المنغمس في الظلمات المستعارة لحال الكافر ، والكاف لنفي

١ أبوحيان ج ٤ ص ٢١٦.

٢ ابن كثير ج ٨ ص ١٦٠.

٣ انظر أبوحيان ج ٤ ص ٢١٦.

٤ انظر أبوالسعود ج ٣ ص ١٨٠ ، الألوسي ج ٨ ص ٣٥٥ ، الطاهر ج ٨ ص ٤٣.

٥ ابن جرير ج ٨ ص ١٤٠.

٦ انظر أبوالسعود ج ٣ ص ١٨١ ، الألوسي ج٨ ص ٣٥٦، انظر الطاهر ج ٨ ص ٤٥,٤٤.

المشابهة بين الحالين المستعارين لمن آمن بعد الكفر ولمن بقي فيه . في حين نقل الألوسي عن القطب الرازي أنه من قبيل التمثيل ورده[1].

تقدم الموت أوالحياة في آيات الإحياء والإماتة:

جاءت الحياة مقدمة على الموت في أغلب السياقات ، وذلك لأنها " كذلك في الخارج ، ولأن زمن الحياة أكثر؛ لأن البعث حياة دائمة لا موت بعدها " [2] ، وذكر الرازي في الحكمة أن " المقصود من ذكر الدليل إذا كان هوالدعوة إلى الله تعالى؛ وجب أن يكون الدليل في غاية الوضوح ، ولا شك أن عجائب الخلقة حال الحياة أكثر ، واطلاع الإنسان عليها أتم ، فلا جرم وجب تقديم الحياة هٰهنا في الذكر " [3] ، فجعل تقدم الحياة لظهورها ووضوح دلائلها عند المخاطب.

وذكر د.محمد ابوموسى أن سبب تقديم الإحياء على الإماتة أن " الموت لا يقع إلا على حي " [4] .

وهناك عدة مواضع تقدم الموت أوالإماتة فيها على الحياة والإحياء نحوقوله تعالى: ﴿ سخ سم سخ سم البقرة: ٢٨، وسبق أن أشير إلى أن السبب قد يعود لذكر بداية خلق آدم عليه السلام ، ونقل البقاعي عن الحرالي قوله: " حقيقة الموت حال غيب بين يديه ظهور ، والحياة نهاية ثابتة ، والموت مبدأ غيب زائل ، فجنس الموت كله متقض ونهاية ، والحياة ثابتة دائمة ؛ ولذلك ورد ما صح عنه عليه الصلاة والسلام في أن الموت يُذبح ، إعلامًا بانقضاء جنسه وثبات الحياة ، ولذلك قدم في الذكر وأعقب بالحياة حيث استغرقتهما كلمة " أل " في قوله: ﴿ نج نح نخ نم الملك: ٢ ، وثبت الخطاب على إقرار الحياة والكمال ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قوله: (نعيم الجنة لا آخر له)"[5] ، ويفهم من قول الحرالي أن تقديم الموت لأنه غيب زائل ، وسيذبح يوم القيامة فلا بقاء له ، والحياة هي الأصل والكمال وهي ثابتة دائمة إلى مالا نهاية حيث الخلود في أحد الدارين الجنة اوالنار ،

---

١ انظر الألوسي ج ٨ ص ٣٥٦.

٢- البقاعي ج ١٩ص٢٥٤ آية الحديد ٢.

٣ الرازي ج ٧ ص ٢٤اية البقرة ٢٥٨.

٤ د.محمد أبوموسى : آل حم ، غافر ، فصلت ص ٢٥٤ آية غافر ٦٨.

٥ البقاعي ج ١ ص ٢١٦ وانظر الرازي ج٣٠ص٥٥ اية الملك ٢.

وهوقريب مما ذكره البقاعي في تقديم الحياة من ثباتها ودوامها غير أنه أضيف هنا أمر يخص جنس الموت وهوالانقضاء والزوال .

ومن المواضع التي تقدمت فيها الإماتة على الإحياء قوله تعالى: ﴿ كج كح كخ كل ﴾ الشعراء: ٨١، ولعل ذلك لصحة الترتيب ؛ لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام يذكر ما سيقع عليه من إماتة الله تعالى له ثم إحيائه ، ويتضمن الإقرار بالإماتة { كح } الاعتراف بالخلق من عدم .ومنها قوله تعالى: ﴿ تم تى تي ﴾ غافر: ١١، التي قد يكون سبب تقديم الإماتة فيها هوالاعتراف بكامل الحقيقه بدءًا من العدم إلى الوجود إلى الموت إلى الحياة الأخرى استعطافا لجلال الله لرؤيتهم النار ، ورغبتهم في الخروج منها .ومنها قوله تعالى: ﴿ كم لم نم نه ﴾ النجم: ٤٤، وذكر البقاعي في تقديم الإماتة فيها أنه " لما كان الإلباس في الموت أكبر وكان الموت أنسب للبكاء، والإحياء أنسب للضحك ، وكان طريق النشر المشوش أفصح قدمه فقال { نم نه } وإن رأيت أسبابًا ظاهرية فإنه لا عبرة بها أصلاً في نفس الأمر بل هوالذي خلقها " [1] ، فأرجع سبب تقديم الموت لأمرين أولهما أن معرفة الناس له أكثر غموضًا ، وثانيهما مجاورته للبكاء في الآية السابقة عليه ، ورأى الرازي " أنه على التقديم والتأخير كأنه قال : أحيا وأمات " [2] أو" أمات أي خلق الموت والجمود في العناصر ، ثم ركبها وأحيا أي خلق الحس والحركة فيها " [3] ، ويشبه هذا ما يذكره الطاهر بن عاشور من أن سبب تقديم الإماتة تاريخي؛ لأن (الإنسان) أول وجوده نطفة ميتة ثم علقة ثم مضغة ، ثم يصرح بأن سبب تقديم الإماتة هوأنها المقصودة بالعبرة ردًّا على زعمهم: ﴿ ئر ئز ئم ﴾ الجاثية: ٢٤، وأن الإحياء تتميم , وكذلك رعاية الفاصلة [4]

ومما ذكره الرازي في تقدم ذكر خلق الموت في قوله تعالى: ﴿ نج نح نخ نم ﴾ الملك: ٢، أنه" قدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعيًا إلى العمل من نصب موته

---

١ البقاعي ج ١٩ ص ٧٤-٧٥

٢ الرازي ج ٢٩ ص ١٩

٣ السابق

٤ انظر الطاهر ج٢٧ ص ١٤٤والرازي ح ٣٠ ص٥٥ اية الملك٢

بين عينيه فقدم؛ لأنه فيما يرجع إلى الغرض له أهم " [1] ، وقريب منه ما ذكره الشعراوي من أن ذكر خلق الموت " لأن الحياة ستورث الإنسان غرورًا في سيطرة إرادته على جوارحه فيطغى ، فأراد ربه عز وجل أن ينبهه : تذكر أنني أميت ليستقبل الحياة ومعها نقيضها ، فيستقيم في حركة الحياة " [2].

أما قوله تعالى: ﴿ ئن ئه بج بح بخ بم به تج ﴾ البقرة: ٢٥٩، وقوله تعالى: ﴿ ئن ى ي بى بي تج تح تخ ﴾ البقرة: ٢٤٣، فإن تقديم الموت مناسب لحكاية حالهم؛ لأنهم كانوا أحياءً فأماتهم الله .

١ الرازي ج ٣٠ ص ٥٥

١- الشعراوي ج ١٦ ص ١٠١١٤ تفسير المؤمنون (٨٠)

الخاتمة:

تناول هذا البحث بالدراسة : الإحياء والإماتة في القرآن الكريم في ضوء السياق البلاغي، وتبين أنها وردت على ثلاثة أقسام ، الأول : انفراد الله تعالى بالإحياء والإماتة استدلالاً على الألوهية وكمال القدرة ومنها القدرة على البعث ، وثانيهما : إثبات قدرة الله تعالى على البعث بإيقاع فعل الإحياء على الموتى ، وثالثها : إدماج الاستدلال على الوحدانية وكمال القدرة في الامتنان على الخلق بنعمة إحياء الأرض بعد موتها .

وجاءت صياغات آيات كل قسم من هذه الأقسام بما يحقق الهدف منها ، ولذلك نجد أغلب آيات القسم الأول التي أرادت إثبات انفراد الله تعالى بحقيقة الألوهية التي من مظاهرها الإحياء والإماتة اللذيْن لا يدعيهما أحد قد جاءت بأسلوب القصر ، وتنوع مفعولها حسب السياق بين ضمير مخاطب أومتكلم أوغائب ، أومحذوف ليفيد شمول قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة لكل مخلوق ولكل معنى ولكل شيء .

وجاء فعل الإحياء في القسم الثاني مؤكدًا لوقوع لفظ الموتى مفعولا لفعل الإحياء مما يؤكد تحقق قدرة الله تعالى على البعث؛ لأن وجود المفعول يعني تحقق وقوع الفعل .

ووقع الإحياء على الأرض بعد موتها في القسم الثالث تأكيدًا لحقيقة الإحياء وإدماجًا للامتنان فيه؛ لأن نعمة إحياء الأرض من أجل النعم على العباد .

وجاء القسم الأول في سياق الرد على كفر الكافرين وتكذيب المكذبين بألوهية الله تعالى وكمال قدرته ومنها القدرة على البعث ، وقريب منه في الرد على الكفر القسم الثاني إلا أنه جاء في الرد على تكذيبهم بالبعث وجاء القسم الثالث في سياقات امتنان تثبت الألوهية والقدرة وتمتن

على العباد بنعم الله تعالى استمالة لهم للإيمان وحثًّا لهم على الشكر.

وتفاوتت الأقسام الثلاثة في درجات التوكيد فقليلاً ما ورد الإحياء والإماتة في القسم الأول مؤكدًا بأدوات التوكيد ولعل ذلك لعدم منازعة أحد من الكفار في كونهما من اختصاص الله تعالى . ومع تأكد تحقق فعل الإحياء في القسم الثاني إلا أنه جاء مؤكدًا في أكثر من سياق ولعل السبب يعود إلى أن تكذيب الكفار بالبعث كان أشد أنواع تكذيبهم . ووردت آيات القسم الثالث غير مؤكدة إلا في عدة مواضع ولعل ذلك لوضوح الآية وعدم جدال الكافرين فيها؛ بل إيمانهم أن منزل المطر ومحيي الأرض هوالله تعالى .

وجاء الإحياء في القسم الأول والثاني في أغلب السياقات على الحقيقة؛ لأنه يثبت وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ومنها القدرة على البعث ، وورد مرة واحدة على المجاز باستعارة الإحياء لدخول الإنسان في الإسلام ، وعدة مرات بتشبيه إحياء الله تعالى للقلوب بإحياء الإنسان ، وجاء في القسم الثالث من قبيل الاستعارة لما بين الحركة والحس والنماء في الإنسان والحركة والنماء والامتداد والنماء في النبات من التشابه في الوجود وفي الوظيفة .

وتقدم فعل الإحياء الأول في غالب السياقات وذلك لطبيعة الأمر تاريخيًّا؛ لأن الإنسان يكون في العدم فيحييه الله تعالى ثم يميته ثم يحييه الإحياء الثاني ، ولأن زمن الحياة أكثر؛ لأن الحياة الأخرى حياة الخلود فالبقاء فيها هوأكثر الزمن . وتقدم الموت عدة مرات كما في آية البقرة التي تقدم فيها ذكر الإحياء من العدم، ولعل ذلك لذكر قصة أول الخلق وهي خلق آدم عليه السلام ، وآية غافر الإشارة إلى رحلة الخلق من العدم مما اقتضى المقام ذكره اعترافًا لله تعالى بالحقيقة استشفاعًا به للخروج من النار، وجاء تقدمه تاريخيًّا في اعتراف إبراهيم عليه السلام بأن ربه سيميته لأنه حي الآن .

المراجع والمصادر:

١– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم ، محمد بن محمد أبوالسعود ت ٩٥١ هـ ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية ١٤١١ هـ١٩٩٠ م .

٢– البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق عادل عبد الموجود الشيخ علي معوض ، شارك في تحقيقه د. زكريا النوتي، د. أحمد الجمل، دار الكتب العلمية لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ١٩٩٣م.

٣– بيان إعجاز القران ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران الكريم ، أبوسليمان حمد بن محمد الخطابي ، تحقيق د. محمد خلف الله أحمد ، د. محمد زغلول سلام دار المعارف الطبعة الرابعة، وطبعة دار المعرفة بيروت – لبنان الطبعة الخامسة ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.

٤– التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر١٩٨٤م.

٥– التسجيل العلمي لندوة الدراسات البلاغية : الواقع والمأمول جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، كلية اللغة العربية ، كلية البلاغة والنقد ومنهج الادب الاسلامي ٢١ – ٢٢ / ٦ / ١٤٣٢ هـ

٦– التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ١٤٣٣ هـ ٢٠٠٢ م ، الطبعة السادسة عشرة ، دار الشروق / القاهرة .

٧– تفسير البيضاوي العظيم، أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد ت ٦٩١ هضمن حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ت ١٠٦٩ هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

٨– تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، ١٩٩١ م ، أخبار اليوم قطاع الثقافة.

٩– تفسير القران العظيم ، الإمام الجليل الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤ هـ ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا – بيروت ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م .

١٠– التفسير الكبير ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي / بيروت .

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٢٢٤هـ-٣١٠ هـ ، دار الحديث – القاهرة ١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م.

١٢- الجامع لأحكام القران ، أبوعبد الله محمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١ هـ ، صححه أحمد عبد العليم البردوني دار الكتاب العربي الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م .

١٣- خصائص التراكيب ، د. محمد محمد ابوموسى ، الطبعة الخامسة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م ، مكتبة وهبة / القاهرة .

١٤- درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الإسكافي ت ٤٢٠ هـ ، تحقيق د.محمد مصطفى آيدن الطبعة الاولى ١٤٢٢- هـ ٢٠٠١ م ، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية .

١٥- دلائل الإعجاز ، أبوبكر عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، دار المدني بجدة ، مطبعة المدني بمصر.

١٦- رسالة بيان إعجاز القرآن ، أبوسليمان حمد بن محمد الخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز تحقيق محمد خلف الله أحمد ، دكتور محمد زغلول سلام ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف .

١٧- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمد الألوسي ت ١٢٧٠ هـ ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .

١٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني .

١٩- كشف المعاني في متشابه المثاني ، بدر الدين بن جماعة ، ت ٧٣٣ هـ ، تحقيق د.محمد محمد داوود الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، دار المنار للنشر والتوزيع / مصر .

٢٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، القاضي أبومحمد عبد الحق بن غالب بن عطية ت ٥٤٦ هـ ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .

٢٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبوالحسن البقاعي ت ٨٨٥ هـ ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

٢٣- ظلال القرآن ، سيد قطب طبعة ١٢ ، ١٤٠٦ هـ ، دار العلم للطباعة والنشر / جدة ، دار الشروق للطباعة والنشر / القاهرة .